

كامل كيلاني

قصص علمية

أسرة السناجيب

رسوم : ماهر عبد القادر







الفصل الأول

١. العاصفة

أَقْبَلَ الشِّتَاءُ بِأَمْطَارِهِ وَزَمْهَرِيرِهِ (شِدَّةَ بَرْدِهِ). وَهَبَتْ عَاصِفَةٌ قَوِيَّةٌ هَوْجًا ،
فَانْحَنَتْ أَمَامَهَا أَشْجَارُ الْغَابَةِ ، حَتَّى تَنْجُو مِنْهَا سَالِمَةٌ ...
وَزَلَّتِ الرِّيحُ تُصَفِّرُ مَزْمَجِرَةً (شَدِيدَةَ الصَّيَاحِ) مُنْذِرَةً بِالْوَيْلِ (مُتَوَعِّدَةً
بِقُوعِ الشَّرِّ وَحُلُولِ الْعَذَابِ) وَالْدَّمَارِ (الْهَلَاكِ) .

وَصَرَخَتْ صَغَارُ السَّنَاجِبِ - وَهِيَ فِي عُشِّهَا الَّذِي اتَّخَذَتْهُ فِي أَعْلَى
شَجَرَةِ الشُّوحِ (وَهِيَ شَجَرَةٌ أَغْصَانُهَا عَلَى هَيْئَةٍ مَخْرُوطَةٍ) - وَتَعَالَتْ
أَصْوَاتُهَا شَاكِيَةً رَاهِبَةً (خَائِفَةً) :

«أَدْرِكْنَا - يَا أَبَانَا - فَقَدْ قَارَبْنَا الْهَلَاكَ ؛ وَأَشْرَفْنَا عَلَى التَّلَفِ ، وَأَوْشَكَتِ
الشَّجَرَةُ أَنْ تَهْوِيَ (تَسْقُطَ) بِنَا إِلَى الْأَرْضِ ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَوْتِ إِلَّا
لَحَظَاتٌ يَسِيرَةٌ (زَمَنٌ قَلِيلٌ)» .



٢ - فَرَعَ السَّناجِبِ



فقال أبو السَّناجِبِ لأَوْلادِهِ الثَّلاثَةِ :
«هَدُّوا مِنْ رَوْعِكُمْ (خَفِّفُوا مِنْ فَرَعِكُمْ) ، فَإِنَّ هَذِهِ الْعاصِفَةَ الْهُوجَاءَ
(الرَّيْحَ الْقَوِيَّةَ الَّتِي تَهْبُّ هُنَا وَهُنَاكَ . فَتَقْتُلُ مَا أَمَامَهَا) لَنْ تَلْبَثَ - عَلَى
شِدَّتِهَا - إِلَّا وَقْتًا يَسِيرًا ، ثُمَّ لَا يَبْقَى لَهَا أَثَرٌ» .

وكان «اللامعُ» و«الساطعُ» و«البراقُ» : يَكَادُونَ يَهْلِكُونَ مِنْ فَرْطِ الْفَرَعِ ،
(مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْجَزَعِ) وَيَلْتَصِقُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، لِيَتَوَارَوْا (لِيَسْتَتِرُوا)
خَلْفَ أَبِيهِمْ . وَهُمْ حَسَنُو الْهَيْئَةِ ، شَقْرُ (أَلْوَانُهُمْ بَيْنَ الْحُمْرَةِ وَالصُّفْرِ) .
أَمَّا أَبُوهُمْ الشَّيْخُ «قُنْزَعَةُ» ؛ فَهُوَ سِنَجَابٌ جَمِيلُ الطَّلَعَةِ ، أَدَكُنْ (يَمِيلُ
لَوْنُهُ إِلَى السَّوَادِ) ، كَثِيفُ الْقَصَّةِ (كَثِيرُ الشَّعْرِ فِي مُقَدِّمَةِ رَأْسِهِ) . وَقَدْ بَذَلَ
الشَّيْخُ جُهْدَهُ فِي تَسْكِينِ رُوعِهِمْ (تَثْبِيتِ قُلُوبِهِمْ) ، وَتَهْدِئَةِ ثَائِرَتِهِمْ (ضَجَّتِهِمْ
وَهِيَاجَهُمْ) ، وَتَأْمِينِهِمْ مِنَ الْخَوْفِ . وَقَالَ لَهُمْ ، فِيمَا قَالَ : «لَا عَلَيْكُمْ (لَنْ
يُصِيبُكُمْ أَدَى) ، يَا بَنِي الْأَعْرَاءِ . فَإِنَّ الْعاصِفَةَ - عَلَى شِدَّتِهَا - لَا تَلْبَثُ وَقْتًا
طَوِيلًا . وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا الصَّبْرُ الْجَمِيلُ !» .

وَلَمْ يَكَدْ «قُنْزَعَةُ» : أَبُو السَّناجِبِ ، يُتِمُّ قَوْلَهُ ، حَتَّى هَبَّتْ (ثَارَتْ
وَهَاجَتْ) عَلَى الشَّجَرَةِ رِيحٌ صَرَصْرٌ عَاتِيَةٌ (قَوِيَّةٌ عَنِيفَةٌ) ، أَوْشَكَتْ أَنْ تَقْتُلِعَهَا
مِنْ جُذُورِهَا ؛ (كَادَتْ تَنْتَرِعُهَا مِنْ أَصُولِهَا) فَانْقَلَبَ السَّناجِبُ الْأَرْبَعَةُ ،
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَأَخَذُوا يَصْرُخُونَ فِي عُشِّهِمْ مَدْعُورِينَ (خَائِفِينَ) .







٣. هُدُوْءُ الْعَاصِفَةِ

ثُمَّ خَفَّتِ الْعَاصِفَةُ (قَلَّتْ شِدَّتُهَا) شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَسَكَتَ الرِّيحُ الْعَاتِيَةُ
(الشَّدِيدَةُ الْعَصْفِ ، الَّتِي جَاوَزَتْ حَدَّ هُبُوبِهَا) .

فَرَفَعَتْ شَجَرَةُ الشُّوحِ الْعُجُوزُ رَأْسَهَا الَّذِي زَعَزَعَتْهُ الصَّدَمَاتُ الْعَنِيفَةُ
وَتَطَلَّعَتْ إِلَى بَنَاتِ جَنْسِهَا - مِنْ شُجَيْرَاتِ الشُّوحِ ؛ فَهَالَهَا مَا رَأَتْهُ ،
وَحَزَنَهَا مَصَارِعُ الشُّجَيْرَاتِ الَّتِي اقْتَلَعَتْهَا الْعَاصِفَةُ الْهَوْجَاءُ ، وَقَذَفَتْ بِهَا
(رَمَتْهَا) عَلَى الْأَعْشَابِ !

وَقَالَ «فُزْرَعَةٌ» : أَبُو السَّنَاجِيبِ لِأَبْنَائِهِ :

«يَا لَهَا مِنْ عَاصِفَةٍ مُفْزَعَةٍ ، هَائِلَةٍ مُرَوِّعَةٍ ! لَقَدْ عِشْتُ عُمُرًا طَوِيلًا -
يَا أَوْلَادِي - وَأَصْبَحْتُ شَيْخًا طَاعِنًا فِي السَّنِّ ، وَرَأَيْتُ فُصُولَ الشِّتَاءِ
مُتَعَاقِبَةً (مُتَتَالِيَةً) فِي هَذِهِ الْغَابَةِ ، فَلَمْ أَر - لِهَذِهِ الْعَاصِفَةِ الْهَوْجَاءِ - مَثِيلًا .
وَلَقَدْ كَانَ مِنْ حُسْنِ حَظِّنَا أَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الَّتِي نَأْوِي إِلَيْهَا (نَسْكُنُهَا)
مَتِينَةٌ قَوِيَّةٌ» .

٤. طَعَامُ السَّنَاجِيبِ

فَقَالَ لَهُ وَلَدُهُ «الَّلَامْعُ» ، وَقَدْ اشْتَدَّ بِهِ أَلَمُ الْجُوعِ :
«أَيْنَ زَادُنَا (طَعَامُنَا) ، يَا أَبَتَاهُ ؟ فَمَا أَظْنُهُ إِلَّا تَفَرَّقَ ، وَقَذَفَتْ بِهِ الرِّيحُ ،
إِلَى حَيْثُ لَا نَعْلَمُ !» .





فَأَجَابَهُ «قُنْزَعَةُ» : «لَا عَلَيْكَ - يَا وَلَدِي - (لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ، وَلَا تَهْتَمُ) ،
وَلَا تَخْشَ عَلَى زَادِنَا الضِّيَاعَ ؛ فَإِنَّ أَبَاكَ شَيْخٌ مُتَبَصِّرٌ (عَلِيمٌ عَارِفٌ) بَعِيدُ
النَّظَرِ ، يَقْدُرُ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ (يَحْسَبُ لَهَا حِسَابَهَا) وَقَدْ أَعَدَدْتُ عُدَّتِي
- فِي فَصْلِ الْخَرِيفِ - لَأَمْثَالِ هَذِهِ الْمُفَاجَأَةِ ، فَخَبَّأْتُ زَادَنَا - مِنْ الْجَوَزِ
الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ - تَحْتَ سِيَاجِ الْأَعْشَابِ (تَحْتَ سُورِهَا الْمُحِيطِ) ، حَتَّى
لَا تُبَدِّدَهُ (لَا تُفَرِّقَهُ) الْعَوَاصِفُ ، وَلَا تَذَرُوهُ (لَا تُطِيرَهُ) الرِّيَّاحُ .





فَاطْمَأَنَّتِ السَّنَاجِيبُ عَلَى زَادِهَا ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تُعْنَى (تَهْتَمُّ) بِتَنْسِيقِ
هِندَامِهَا ، وَتَنْظِيمِ فِرَائِهَا وَأَذْنَابِهَا الَّتِي تَشَعَّتْ (انْتَفَشَ شَعْرُهَا) . وَلَمْ
تَلْبَثْ - بَعْدَ لَحْظَةٍ قَصِيرَةٍ - أَنْ أَعْمَلَتْ أَلْسِنَتَهَا اللَّطِيفَةَ الصَّغِيرَةَ فِي
شَعْرِهَا ، حَتَّى نَسَقَتْهُ (نَظَّمَتْهُ) ، وَأَصْلَحَتْ مَا تَشَعَّتْ (مَا تَفَرَّقَ) مِنْهُ .

٥ . بَابُ الْعُشِّ

وَصَاحَ «الْبَرَّاقُ» مَذْغُورًا (خَائِفًا) ، وَهُوَ مُنْزَوٍ (مُخْتَفٍ) فِي رُكْنٍ مِنْ
أَرْكَانِ الْعُشِّ ، وَقَدْ انْتَضَمَتْهُ الرَّجْفَةُ (شَمِلَهُ الرُّعَاشُ) ، مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ .
قَالَ :

«مَا أَشَدَّهُ بَرْدًا ، وَمَا أَقْسَاهُ زَمْهَرِيرًا !» .

فَقَالَ أَبُو السَّنَاجِيبِ «فُنْزَعَةٌ» :

«صَدَقْتَ يَا «بَرَّاقُ» ، فَقَدْ اشْتَدَّ الْبَرْدُ ، وَلَا بُدَّ (لَا مَفَرَّ) لَنَا مِنْ إِغْلَاقِ
بَابِ الْعُشِّ (إِقْفَالِهِ) عَلَيْنَا ، حَتَّى نُصِيبَ (نَنَالَ) مَا نَرْجُو مِنَ الدَّفْءِ
(السَّخُونَةِ) وَالْحَرَارَةِ» .

وَجَمَعَ «فُنْزَعَةٌ» قَبْضَةً مِنَ الْحَشَائِشِ الْيَابِسَةِ ، بِيَدَيْهِ الْأَمَامِيَّتَيْنِ ، فَمَلَأَ
بِهَا فَاهُ ، ثُمَّ لَفَظَهَا (رَمَى بِهَا وَطَرَحَهَا) نَافِخًا بِقُوَّةٍ ، فَسَدَّ مَنْفَذَ الْعُشِّ .
ثُمَّ قَالَ :





«لَقَدْ وَقَيْتُكُمْ غَائِلَةَ الْبَرْدِ (شِدَّتُهُ الْمُهْلِكَةَ) ؛ فَالْبَثُوا - أَيُّهَا الصِّغَارُ
الْأَعْرَاءُ - وَادْعِينَ (أَقِيمُوا مُرْتَا حِينَ) ، وَنَامُوا أَمِينٌ .»



٦. نَشِيدُ النَّوْمِ



وَأَقْتَرَبَ «قُنْزَعَةُ» مِنْ بَنِيهِ ، وَالتَفَّ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ مُتَحَوِّيًا (مُسْتَدِيرًا
عَلَى نَفْسِهِ مُتَجَمِّعًا) كَالْكُرَةِ ، وَأَصْبَحَ فُوهُ (فَمُهُ) عِنْدَ بَطْنِهِ ، شَأْنُ
السَّناجِبِ حِينَ تَتَأَهَّبُ لِلنَّوْمِ .
ثُمَّ سَادَ الْعُشُّ سُكُونٌ عَمِيقٌ .

فَهَلْ تَحْسَبُونَهُمْ (تَظُنُّونَهُمْ) - أَيُّهَا الْقُرَاءُ الْأَعْزَاءُ - قَدْ اسْتَسْلَمُوا لِلنَّوْمِ ؟
كَلَّا . فَإِنَّ عَيْنَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ كَانَتَا تَبْرُقَانِ فِي الظَّلَامِ ، وَذَنْبًا يَرْتَجِفُ أَنَا بَعْدَ
آخِرِ (ذِيلاً يَرْتَعِشُ حِينًا بَعْدَ حِينٍ) .

وَمِنْ عَادَةِ السَّناجِبِ أَنْ تَثْبَ بَيْنَ الْغُصُونِ ، قَافِزَةً مِنْ فَرْعٍ إِلَى آخَرَ ،
وَهِيَ تُحِبُّ الْوُثْبَ وَالْقَفْزَ حُبًّا جَمًّا (كَثِيرًا) . لِهَذَا بَرَقَتْ (لَمَعَتْ) عَيْنَا
ذَلِكَ السَّنَجَابِ الصَّغِيرِ : «الْبَرَّاقُ» . وَلَكِنَّهُ - هُوَ وَأَخَوَاهُ - قَدْ آثَرُوا
(اخْتَارُوا) الصَّمْتَ ، وَأَخْلَدُوا (ارْتَكَنُوا) إِلَى السُّكُونِ ، تَلْبِيَةً لِأَمْرِ آبَائِهِمْ .
وَمَرَّتْ لَحَظَاتٌ قَصِيرَةٌ ، ثُمَّ عَجَزَ «الْبَرَّاقُ» عَنْ مُغَالَبَةِ شَوْقِهِ إِلَى الْوُثْبِ
(الْقَفْزِ) ؛ فَانْخَرَطَ (أَسْرَعَ) فِي الْبُكَاءِ ، وَقَالَ لِأَبِيهِ فَجَاءَةً :

«لَقَدْ أَعْجَزَنِي أَنْ أَظْفَرَ بِالنَّوْمِ ، فَلَيْسَ لِي مِنْ سَبِيلٍ إِلَيْهِ ، يَا أَبَتَاهُ» .
فَرَتْنِي «قُنْزَعَةُ» (رَقَّ) لِحَالِ وَلَدِهِ «الْبَرَّاقِ» ، وَقَالَ لَهُ حَانِيًا (عَاطِفًا) ،
مُسْتَفِقًا (خَائِفًا) :





«أَدْنُ (اِقْتَرَبْ) مِنِّي - يَا وَلَدِي الْعَزِيزَ - وَالتَّصِقْ بِي ، فَإِنِّي مُغْنِيكَ أَنْشُودَةً
(أُغْنِيَةً) جَمِيلَةً ، لَعَلَّكَ تَنَامُ» .

ثُمَّ أَنْشَأَ يُغْنِيهِ نَشِيدَ النَّوْمِ ، الَّذِي تَحْفَظُهُ أُمَمَاتُ السَّنَاجِبِ جَمِيعًا ،
وَتُلَقِّنُهُ أَوْلَادَهُنَّ (تُفَهِّمُهُنَّ إِيَّاهُ ، وَتَقُولُهُ لَهُنَّ مُشَافَهَةً) ، لِيُنْشِدَنَّهُ ، اسْتِجْلَابًا
لِلنَّوْمِ وَالرَّاحَةِ ، فَقَالَ ، فِي صَوْتٍ عَذْبٍ ، يَفِيضُ رِقَّةً وَحَنَانًا :





نَمْ أَمِنَّا، يَا «لَامِعُ»
يَا أَيُّهَا «الْبَرَّاقُ» نَمْ
وَأَشْرَقَتْ أَيَّامُكُمْ
وَسَاعَفَتْكُمْ الْمُنَى



نَمْ أَمِنَّا، يَا «سَاطِعُ»
وُقِيتُمْ كُلَّ أَلَمٍ!
وَسُعِدَتْ أَحْلَامُكُمْ
بِكُلِّ أَسْبَابٍ هُنَا!



نَمْ أَمِنَّا، يَا «لَامِعُ»
يَا أَيُّهَا «الْبَرَّاقُ» نَمْ
غَلَبْتُمْ أَعْدَاءَكُمْ
وَحَقَّقَ الدَّهْرُ بِكُمْ



نَمْ أَمِنَّا، يَا «سَاطِعُ»
وُقِيتُمْ كُلَّ أَلَمٍ!
وَنَلْتُمْ رَجَاءَكُمْ
أَمَانًا، بِقُرْبِكُمْ!



نَمْ أَمِنَّا، يَا «لَامِعُ»
يَا أَيُّهَا «الْبَرَّاقُ» نَمْ
فَأَغْمَضُوا أَجْفَانَكُمْ
سَلِمْتُمْ مِنَ الرَّدَى،



نَمْ أَمِنَّا، يَا «سَاطِعُ»
وُقِيتُمْ كُلَّ أَلَمٍ!
وَفَارَقُوا أَحْزَانَكُمْ
وَمِنْ مَكَائِدِ الْعِدا!



نَمْ أَمِنَّا، يَا «لَامِعُ»
يَا أَيُّهَا «الْبَرَّاقُ» نَمْ
نَامُوا جَمِيعًا، وَانْعَمُوا

نَمْ أَمِنَّا، يَا «سَاطِعُ»
وُقِيتُمْ كُلَّ أَلَمٍ!
بِالنَّوْمِ، فَهُوَ مَغْنَمٌ





فِي صِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ ، وَمُتَعَةٍ مُوَافِيَةٍ !



نَمْ أَمِنَّا ، يَا «لَامِعُ»
يَا أَيُّهَا «الْبَرَّاقُ» نَمْ
سَلِمْتُمْ - فَانْتُمْ
نَمْ أَمِنَّا يَا «سَاطِعُ»
وُقِيتُمْ كُلَّ أَلَمٍ !
رَجَاؤُنَا - وَدُمْتُمْ .



وِظَلَّ «قُنْزَعَةُ» يُرْجِعُ (يُرَدِّدُ) هَذِهِ الْأَنْشُودَةَ الْجَمِيلَةَ ، وَصَوْتُهُ يَخْفُتُ
(يَسْكُنُ أَوْ : يَسْكُتُ) شَيْئًا فَشَيْئًا ، حَتَّى أَسْلَمَ أَوْلَادُهُ أَجْفَانَهُمْ لِلنَّوْمِ ،
وَرَاحَ مَعَهُمْ فِي سُبَاتٍ (نَوْمٍ) عَمِيقٍ .



الفصل الثاني



١. صِيحَةُ الْبَرَّاقِ

وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَنَامُوا طَوِيلًا، فَقَدْ اسْتَيْقَظَ «الْبَرَّاقُ» فَزَعًا مَرْعُوبًا وَصَاحَ
(صَرَخَ) - مِنْ فَرَطِ الْخَوْفِ - قَائِلًا :
«لَقَدْ سَمِعْتُ حَرَكَةً ، خَارِجَ الْعُشِّ» .

فَاسْتَيْقَظَتْ أَسْرَةُ السَّنَاجِبِ ، وَوَقَفَتْ تَتَسَمَّعُ ذَلِكَ الصَّوْتَ ، وَحَدَقَتْ
(شَدَدَتْ النَّظَرَ) إِلَيْهِ ، وَأَرْهَفَتْ أَذَانَهَا .

ثُمَّ قَالَ «الَّلَامِعُ» مُجْمَعًا (غَيْرَ رَافِعِ صَوْتِهِ وَلَا مُبَيِّنِ كَلَامِهِ) ، وَقَدْ
أَسْنَدَ رَأْسَهُ إِلَى فَرْعِ الشَّجَرَةِ : «لَقَدْ صَدَقَ
«الْبَرَّاقُ» - يَا أَبْنَاهُ - فَإِنِّي أَسْمَعُ صَوْتَ أَقْدَامٍ
تَتَسَلَّقُ جَذَعَ الشَّجَرَةِ» .

فَذُعِرَ «الْبَرَّاقُ» (خَافَ) - وَهُوَ أَجْبَنُ أَبْنَاءِ
أَبِيهِ - وَأَخْفَى رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ مُنْزِعِيًّا :
«أِهْ .. يَا لَهَا كَارِثَةٌ (نَكْبَةٌ) مُفْزَعَةٌ !» .





٢. نَصِيحَةُ السَّنَجَابِ

فَقَالَ أَبُو السَّنَجَابِ «قُنْزَعَةٌ» :

«مَا بَالُ الْخَوْفِ قَدْ اسْتَوْلَى عَلَى نُفُوسِكُمْ ، أَيُّهَا الصَّغَارُ الْأَعْزَاءُ ! إِنَّ الصَّوْتَ - فِيمَا يَبْدُو لِي - قَدْ ابْتَعَدَ . فَافْتَحُوا بَابَ الْعُشِّ ، لِنَسْتَجْلِيَ الْأَمْرَ (لِنَعْرِفَهُ بَوْضُوحٍ) ، وَنَرَى : مَنِ الطَّارِقُ (مَنِ الزَّائِرُ لَيْلًا) . فَإِذَا لَاحَ لِي أَىْ خَطَرٍ ، أَشَرْتُ إِلَيْكُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْ فُورِكُمْ (تَوًّا) ، لِنَتَقَفِرُوا إِلَى الشَّجَرَةِ الْمُجَاوِرَةِ الْأُخْرَى . وَلَكِنْ لَا تَنْسُوا - إِذَا قَفَزْتُمْ مِنْ شَجَرَةٍ إِلَى شَجَرَةٍ - أَنْ تَبْسُطُوا أَذْنَابَكُمْ - كَمَا عَلَّمْتُكُمْ - حَتَّى لَا تَهْوُوا (لَا تَسْقُطُوا عَلَى الْأَرْضِ) . فَقَالُوا لَهُ : «كَلَّا ، كَلَّا . لَا تَخْرُجْ - يَا أَبَتَاهُ - فَلَسْنَا آمِنِينَ مِنَ الْأَخْطَارِ ، إِذَا خَرَجْتَ ! وَلَيْسَ لَنَا مَلَاذٌ (مَلْجَأٌ) سِوَاكَ . فَالْبَثْ مَعَنَا ، فَإِنَّا نَسْتَوْحِشُ (نَشْعُرُ بِالْوَحْشَةِ وَالْخَوْفِ) لِعَيْبَتِكَ !» .

فَقَالَ «قُنْزَعَةٌ» : «الزُّمُوا الصَّمْتَ ، أَيُّهَا الْأَعْزَاءُ ، وَلَا تُفْسِدُوا عَلَيَّ تَدْبِيرِي ، فَإِنِّي أَبْعَدُ مِنْكُمْ نَظْرًا . وَأَسَدُّ (أَصُوبُ) رَأْيًا ، وَأَوْفَرُ (أَكْثَرُ) تَجَرِبَةً !» .





٣ - زَائِرٌ مُفَاجِئٌ

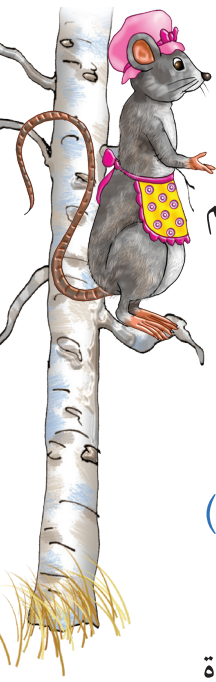
وَخَرَجَ «قُنْزَعَةُ» فَجَزَعَ (فَزَعَ) أَبْنَاؤُهُ ، وَانْتَضَمَتْهُمْ الرَّجْفَةُ (سَرَى فِي أَجْسَادِهِمُ الرُّعَاشُ) . وَبَعْدَ قَلِيلٍ سَمِعُوا حَرَكَةً تَدْنُو (تَقْتَرِبُ) مِنَ الْعُشِّ ، فَاشْتَدَّ فَزَعُهُمْ . ثُمَّ رَأَوْا شَيْئًا يَدْنُو مِنَ الْبَابِ ، فَكَادَتْ تَحْمُدُ أَنْفُسُهُمْ مِنْ فَرْطِ الذَّعْرِ (كَادُوا يَمُوتُونَ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ) . وَتَحَيَّرُوا فِي أَمْرِهِمْ ، فَلَمْ يَعْرِفُوا : كَيْفَ يَصْنَعُونَ ؟ وَلَيْسَ مَعَهُمْ آبَاؤُهُمْ ، فَيَدْفَعُ عَنْهُمْ غَائِلَةَ الْمُغِيرِينَ (فَتَكَ الْهَاجِمِينَ) ، وَكَيْدَ الْمُعْتَدِينَ . ثُمَّ أَطْلَّ عَلَيْهِمْ رَأْسُ حَيَوَانٍ ، فَعَقَدَ الذُّعْرُ أَلْسِنَتَهُمْ (رَبَطَهَا الْخَوْفُ وَقَيَّدَهَا ، فَلَمْ تَسْتَطِعِ الْكَلَامَ) . وَأَسْرَعَ السَّنَاجِبُ مُنْزَوِينَ (مُخْتَبِئِينَ) فِي رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْعُشِّ . وَلَمْ يَكَدْ يَسْتَقِرُّ الْمَقَامُ بِهَذَا الزَّائِرِ الْمَخُوفِ الرَّاعِبِ (الْمُفْزِعِ) ، حَتَّى قَالَ مُتَعَجِّبًا : «أَتَرَى هَذَا الْعُشَّ خَالِيًا مِنْ سَاكِينِهِ ؟!» .

فَخِيلَ إِلَى صِغَارِ السَّنَاجِبِ أَنْ أَخِرَتْهُمْ قَدْ قَرَبَتْ (ظَنُّوا أَنَّ أَعْمَارَهُمْ دَنَتْ وَأَشْرَفَتْ عَلَى نِهَائِهَا) ، وَأَطْبَقُوا أَجْفَانَهُمْ (أَغْمَضُوا عُيُونَهُمْ) مَذْعُورِينَ ، وَاسْتَسْلَمُوا لِلْيَأْسِ مَغْلُوبِينَ .

٤ - أُمُّ رَاشِدٍ

وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ ، دَخَلَ «قُنْزَعَةُ» عُشَّهُ ، بَعْدَ أَنْ أَتَمَّ - فِي الْخَارِجِ - جَوْلَتَهُ (طَوَفْتَهُ) ، بَاحِثًا عَنْ ذَلِكَ الطَّارِقِ . ثُمَّ قَالَ لِبَنِيهِ :





«لَمْ أَرِ أَحَدًا خَارِجَ الْعُشِّ ، أَيُّهَا الْأَعْزَاءُ . فَطَيَّبُوا نَفْسًا ، وَلَا يَدْخِلَنَّكُمْ
(لَا يُصِيبَنَّكُمْ) الرَّوْعُ (الْفَزَعُ) ...»

فَقَاطَعَهُ صَوْتُ ذَلِكَ الزَّائِرِ ، قَائِلًا : «سُعِدَ يَوْمُكَ ، يَا ابْنَ عَمِّ !» .
فَدَهِشَ «قُزْعَةُ» وَتَلَفَّتْ حَوْلَهُ ، لِيَرَى مَنْ يُحْيِيهِ .

فَأَبْصَرَ - بِالْقُرْبِ مِنَ الْبَابِ - جِسْمًا صَغِيرًا ، فِي لَوْنِهِ دُكْنَةُ (سَوَادُ)
فَصَاحَ مَسْرُورًا : «مَرْحَبًا بِكَ ، يَا ابْنَةَ الْعَمِّ . كَيْفَ أَنْتِ يَا «أُمُّ رَاشِدٍ» ؟
أَتَدْرِينَ كَيْفَ أَرْجَعْتِ أَبْنَائِي - أَيُّهَا الْفَأْرَةُ الْعَزِيزَةُ - بِهَذِهِ الزَّوْرَةِ
الْمُفَاجِئَةِ ؟» .



٥. اعتذار الفأرة

فَاجَابَتْهُ «أُمُّ رَاشِدٍ» : «عُذْرًا وَصَفْحًا ، يَا ابْنَ عَمِّ . شَدَّ مَا يَحْزُنُنِي أَنَّنِي
سَبَبْتُ لَكُمْ هَذَا الْإِنْرِعَاجَ ! فَهَلْ أَنْتَ غَافِرٌ لِي هَذِهِ الْهَفْوَةَ ؟
وَهَلْ أَنْتَ مُتَفَضِّلٌ عَلَى بِنْتِ عَمِّكَ ، فَمُضِيْفُهَا - فِي عُشِّكَ زَمَنًا قَصِيرًا ؛
لَعَلِّي أُصِيبُ شَيْئًا مِنَ الدَّفْعِ ، فَقَدْ كَادَ الْبَرْدُ يُهْلِكُنِي ؟ !
هَا أَنَا ذِي أَرَى أَبْنَاءَكَ الصَّغَارَ . فَمَا أَجْمَلَ شَكْلَهُمْ وَأَبْهَجَ مَرَأَهُمْ !
ادْنُوا (اقْتَرِبُوا) مِنِّي ، أَيُّهَا الْأَعَزَّاءُ .
أَلَا تَعْرِفُونَ «أُمَّ رَاشِدٍ» - بِنْتَ عَمِّكُمْ - الْمُخْلِصَةَ الْوَفِيَّةَ ؟ » .





٦. دَهْشَةُ السَّنَاجِيبِ

فَنَظَرَ إِلَيْهَا «الَّلَامِعُ» وَ «السَّاطِعُ» وَ «الْبَرَّاقُ» ؛ وَقَدْ سُرِّي عَنْهُمْ ، وَذَهَبَ
بَعْضُ مَا فِي نُفُوسِهِمْ مِنَ الرَّهْبَةِ وَالْخَوْفِ . وَحَلَّتِ الدَّهْشَةُ مَكَانَ الْفَزَعِ ، إِذْ
عَجِبُوا (دَهْشُوا) مِنْ تِلْكَ الْفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ ذَاتِ الرِّدَاءِ (صَاحِبَةِ الثَّوبِ)
الرَّمَادِيِّ ، الَّتِي تُحَدِّثُهُمْ - فِي طَلَاقَةٍ وَسُرْعَةٍ - وَهِيَ تَغْمِزُ بَعَيْنَيْهَا ، وَتَقْطُبُ
(تُجَمِّعُ) أَنْفَهَا الْمُحْدَوِّدَ (الْخَارِجَ وَسَطُهُ) !

٧. بَيْتُ السَّنَجَابِ

ثُمَّ اسْتَأْنَفَتْ «أُمُّ رَاشِدٍ» قَائِلَةً : «تَقَبَّلْ تَهْنِئَاتِي - يَا ابْنَ عَمِّ - بِهَذَا
الْمَسْكَنِ الْبَدِيعِ الَّذِي تَقْطُنُهُ (تَسْكُنُهُ)» .
فَقَالَ «قُنْزَعَةُ» : «صَدَقْتَ - يَا «أُخْتَ يَرْبُوعَ» .. فَقَدْ بَذَلْتُ جُهِدًا عَظِيمًا
فِي تَنْسِيقِ هَذَا الْعُشِّ (تَنْظِيمِهِ) ، وَوَضَعِ هَذِهِ الْأَغْصَانِ الصَّغِيرَةَ كُلَّهَا ،
وَتَرْتِيبَهَا فِيهِ» .
فَرَفَعَتْ «أُمُّ رَاشِدٍ» رَأْسَهَا قَائِلَةً :

«مَا أَجْمَلَ هَذَا الْبَيْتَ الَّذِي بَنَيْتَهُ ، وَرَفَعْتَ سَمَكَهُ (سَقْفَهُ) وَأَقَمْتَهُ !
وَمَا كَانَ أَجْدَرَ الْفَأْرَةَ أَنْ تَهْتَدِيَ بِكَ ، وَتَحْتَذِيكَ (تَعْمَلْ مِثْلَ عَمَلِكَ)
فِي هُنْدَسَةِ بَيْتِهَا ! وَمَا أَعْجَبَ مَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ مِنْ فُنُونِ الْهَنْدَسَةِ ، إِذْ
تَفْتَحُ بَابَ مَسْكِنِكَ فِي الشَّرْقِ ، لِتَنْفُذَ إِلَيْكَ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ ، فِي





اللَّحْظَةَ الَّتِي تَطْلُعُ فِيهَا عَلَى الْكَوْنِ ! آه ، لَقَدْ ثَرَزْتُ (أَطَلْتُ التَّكَلَّمَ) - يَا ابْنَ عَمِّ - بِلَا طَائِلٍ (بَغَيْرِ فَائِدَةٍ) . وَنَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَكَ - بَادِئَ الْأَمْرِ - كَيْفَ أَنْتَ ؟ وَلَعَلَّ عُذْرِي فِي هَذِهِ الثَّرَثَةِ أَنْنِي لَمْ أَقَابِلْ أَحَدًا مِنْ أَصْدِقَائِي مُنْذُ زَمَنْ طَوِيلٍ . وَقَدْ طَالَ شَوْقِي إِلَى الْحَدِيثِ وَالسَّمَرِ . وَكَانَ مِنْ حُسْنِ حَظِّي أَنْ لَقِيتُكَ مُفَاجَأَةً ، فَقَدْ كُنْتُ أَعْتَسِفُ الطَّرِيقَ (أَمْشِي فِيهِ بِلَا دِرَايَةٍ) ، سَائِرَةً عَلَى غَيْرِ هُدًى . وَعَنْ (خَطَرٍ) لِي أَنْ أَتَسَلَّقَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ ، وَأَنَا لَا أَدْرِي ، إِلَى أَيِّ مَكَانٍ أَقْصِدُ ؟ وَلَمْ أَعْرِفْ أَنَّ حَظِّي السَّعِيدَ سَيَهْدِينِي إِلَيْكَ ! » .

٨ - عَشُ الْفَأْرَةِ

فَقَالَ «فُنْزَعَةٌ» : «وَكَيْفَ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَخْرُجِي وَحْدَكَ مِنْ عُشِّكَ ، فِي هَذَا الْوَقْتِ ، يَا «أُخْتِ يَرْبُوعَ» ؟ وَكَيْفَ أَقْدَمْتَ عَلَى احْتِمَالِ آلامِ الْبَرْدِ الْقَارِسِ (الشَّدِيدِ) ، عَلَى غَيْرِ عَادَتِكَ ، يَا ابْنَةَ عَمِّ ؟ » .

فَطَأَطَأَتْ «أُمُّ رَاشِدٍ» رَأْسَهَا ، وَمَسَحَتْ بِيَدَيْهَا فَاهَا (فَمَهَا) الصَّغِيرَ ، ثُمَّ قَالَتْ مَحْزُونَةً : «آه، يَا ابْنَ عَمِّ . بَرِّكَ لَا تَذَكِّرْنِي بِعُشِّي وَلَا تُحَدِّثْنِي عَنْهُ أَيَّ حَدِيثٍ ؛ فَإِنِّي لَا أَذْكُرُ الْعُشَّ إِلَّا ذَكَرْتُ مَعَهُ مِقْدَارَ شَقَائِي ، وَتَعَاسَتِي ، وَسُوءِ حَظِّي . لَقَدْ كَانَ عُشِّي - عَلَى عِلَالَتِهِ (عَلَى أَيِّ حَالٍ فِيهِ) - خَيْرَ نَمُودَجٍ لِمَسَاكِينِ الْفَأَرِ . وَكَانَتْ فَأْرُ الْغَابَةِ جَمِيعًا تُزْهَى





(تُعَجَّبُ) بِهِ ، وَتُثْنِي عَلَيْهِ . وَقَدْ كُنْتُ بَنَيْتُهُ - يَا ابْنَ عَمِّ - فِي آخِرِ جَذَعِ
بَلُوطَةٍ نَاشِئَةٍ . وَحَفَرْتُ - بِالْقُرْبِ مِنْهُ - مَسْتَوْدَعَ زَادِي ، وَمَخْزَنَ مَوْوِنَتِي .
وَمَلَأْتُهُ بِكُلِّ مَا أَشْتَهِيهِ مِنْ أَطَايِبِ الْمَآكِلِ ، وَلِذَائِذِ الْأَطْعِمَةِ .



٩. مَأسَاةُ «أُمِّ رَاشِدٍ»



وَكَانَ السَّنَاجِيبُ الْأَرْبَعَةُ يُرْهِفُونَ أَذَانَهُمْ ، مُنْصِتِينَ إِلَى حَدِيثِ «أُمِّ رَاشِدٍ» . وَقَدْ حَزَنُوا لِشُكْوَاهَا ، وَتَأَلَّمُوا لِبَثِّهَا أَشَدَّ الْأَلَمِ (تَوَجَّعُوا لِحَزْنِهَا أَشَدَّ الْوَجَعِ) .



فَقَاطَعَهَا «الَّلَامِعُ» قَائِلًا :

«شَدَّ مَا حَزَنَتْنَا شُكْوَاكِ ، يَا «أُمِّ رَاشِدٍ» ؟» .

فَقَالَتْ «أُمِّ رَاشِدٍ» مُسْتَأْنِفَةً حَدِيثَهَا :

«اصْغُوا إِلَى بَقِيَّةِ الْقِصَّةِ ، فَإِنَّهَا لَمَّا تَنْتَه (لَمْ تَنْتَه بَعْدُ) ، يَا أَبْنَاءَ عَمِّ ، وَهِيَ مَأسَاةٌ (حَادِثَةٌ) مُفْزَعَةٌ . وَلَسْتُ أَشُكُّ فِي أَنَّكُمْ سَتَدَهْشُونَ إِذَا قَرَرْتُ لَكُمْ أَنَّنِي - مُنْذُ زَمَنِ قَلِيلٍ - كُنْتُ وَادِعَةً أَمِنَةً فِي عُشِّي ، وَبَيْنَا أَنَا مُصْغِيَةٌ (مُسْتَمِعَةٌ) إِلَى غِنَاءِ الرِّيحِ ، وَقَدْ تَهَيَّأْتُ لِلْكَرَى (اسْتَعَدَدْتُ لِلنَّوْمِ) ، وَكِدْتُ أَغْمِضُ عَيْنَيَّ ، إِذْ سَمِعْتُ جَلْجَلَةً (فَرْقَعَةً) ، وَقَعْقَعَةً هَائِلَةً تُصِمْ الْأَذَانَ ، فَاسْرَعْتُ - هَارِبَةً - لَعَلِّي أَنْجُو بِنَفْسِي .

وَلَمْ أَكْذُ أَفْعَلُ حَتَّى أَبْصَرْتُ شَجَرَةَ الْبَلُوطِ تَهْوِي سَاقِطَةً عَلَى الْأَرْضِ ، فَسَمِعْتُ لِذَوِيهَا ضَجَّةً ، كَأَنَّهَا قَصْفُ الرُّعُودِ (صَوْتُهَا الشَّدِيدُ) ! وَلَوْ أَنَّنِي تَأَخَّرْتُ لَحِظَةً وَاحِدَةً عَنِ الْهَرَبِ ، لَهَلَكْتُ مِنْ فَوْرِي . آه ... يَا لَهَا سَاعَةً مُفْزَعَةً لَا زِلْتُ أَرْجِفُ (أُرْتَعِشُ) كُلَّمَا ذَكَرْتُهَا !» .





١٠ - فِقدانُ الزَّادِ

فقال «قُزْعَةُ» أَبُو السَّنَجِيبِ :

«لقد دُمِّرَ (خَرِبَ) عُشُّكَ - إِذَنْ - يا ابْنَةُ عَمِّ !» .

ف قالت «أُمُّ رَاشِدٍ» :

«صَدَقْتَ ! فقد دُمِّرَ عُشِّي، وَتَبَدَّدَ زَادِي (تَفَرَّقَ طَعَامِي) ، وَحَمَلَتْهُ
الرِّيحُ الْهُوجُ (الَّتِي لَا تَسِيرُ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ) ، إِلَى أَقْاصِي الْأَرْضِ النَّائِيَةِ
(الْبَعِيدَةِ) ، وَلَمْ يَبْقَ لَدَيَّ جَوْزَةٌ وَاحِدَةٌ ، أَقَاتُ بِهَا . وَالْفَضْلُ - كَمَا
تَعْلَمُ - شِتَاءٌ ، وَلَيْسَ فِي الْأَشْجَارِ مِنْ شَيْءٍ يَصْلُحُ لِي زَادًا . فَمَا حِيلَتِي
يا ابْنَ عَمِّ ؟» .

ثُمَّ صَمَتَتْ (سَكَتَتْ) «أُمُّ رَاشِدٍ» الْمِسْكِينَةُ ، وَغَصَّتْ عَيْنَاهَا (امْتَلَأَتْ)
بِالدُّمُوعِ ، وَطَفِقَتْ تَبْكِي حَظَّهَا التَّاعِسَ مُتَأَلِّمَةً !





الفصل الثالث

١. تَفَرُّقُ الْأُسْرَةِ

فَقَالَ «قُنْزَعَةُ» :

«أَلَيْسَ لَكَ - يَا ابْنَتَ عَمِّ - أَخٌ ، أَوْ أُخْتُ ، أَوْ أُسْرَةٌ تَعَاوُنُكَ (تُسَاعِدُكَ) ،
فِي هَذَا الْوَقْتِ الْعَصِيبِ (الشَّدِيدِ) ؟ فَقَدْ طَالَمَا سَمِعْتُ أَنَّ الْفِئْرَانَ
مُتَعَاوِنَةٌ ، يُسَاعِدُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَلَا يَخْذُلُ قَرِيبٌ قَرِيبَهُ !» .

فَقَالَتْ «أُمُّ رَاشِدٍ» :

«لَيْسَ فِي هَذَا شَكٌّ ، يَا ابْنَ عَمِّ . وَلَكِنِّي لَا أَعْرِفُ أَيْنَ تَسْكُنُ أُسْرَتِي
وَأَهْلِي ؟ وَمَبْلَغُ عِلْمِي أَنَّهُمْ أَسْرَعُوا إِلَى بُيُوتِ النَّاسِ ، لِيَقْطُنُوهَا وَهَجَرُوا
الْغَابَةَ فِي آخِرِ فَصْلِ الْخَرِيفِ ، عِنْدَمَا اصْفَرَّتْ أَوْرَاقُ الْأَشْجَارِ .

٢. فِي بُيُوتِ النَّاسِ

وَقَدْ اعْتَزَمُوا أَنْ يَقْضُوا فَصْلَ الشِّتَاءِ فِي تِلْكَ الْمَسَاكِينِ الْأَهْلَةِ .
الْمَسْكُونَةِ بِالنَّاسِ ، كَمَا هِيَ عَادَتُنَا ، مَعْشَرَ الْفَأَرِ . وَلَقَدْ حَاوَلَ أَبِي
وَأُمِّي أَنْ يَصْطَحِبَانِي فِي تِلْكَ الْهَجْرَةِ ؛ وَلَكِنَّ خَالَتِي زَهَّدَتْنِي فِي





الطَّيِّبَاتِ وَاللَّذَائِدِ ، الَّتِي تَأْكُلُهَا الْفَأْرُ فِي تِلْكَ الْبُيُوتِ ؛ لَمَّا قَصَّتهُ عَلَى
مِنْ مَكَائِدِ النَّاسِ ، وَحِيلَهُمُ الْعَجِيبَةِ الَّتِي يَتَحَوَّلُونَهَا لِأَصْطِيادِنَا ، مَعْشَرَ
الْفَأْرِ .

فَصَاحَ «الَلَامِعُ» : «مَنْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ الَّتِي تَعْنِينِ (تَقْصِدِينَ) ؟» .

فَقَالَتْ «أُمُّ رَاشِدٍ» : «أَلَا تَعْرِفُ النَّاسَ ، يَا عَزِيزِي «الَلَامِعُ» ؟
إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ مِنَ الْعَمَالِقَةِ (الطَّوَالِ) يَسِيرُونَ عَلَى رِجْلَيْنِ كَمَا تَمْشِي
الطُّيُورُ ، لَا عَلَى أَرْبَعٍ كَمَا نَمْشِي ، مَعْشَرَ الْفَأْرِ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَرْتَدِي
(يَلْبَسُ) ثَوْبًا أَشْبَهَ شَيْءٍ بِغِرَارَةِ (زَكِيَّةٍ) ، أَوْ كَيْسٍ .

فَضَحَكَ «الَلَامِعُ» وَإِخْوَتُهُ مِنْ هَذَا التَّشْبِيهِ الظَّرِيفِ . وَقَالَ «الَلَامِعُ» :

«لَعَلَّنِي أَذْكَرُ أَنْتِي رَأَيْتُ وَاحِدًا
تَنْطَبِقُ عَلَيْهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ ، وَقَدْ
أَدْهَشَنِي مَنْظَرُهُ . فَظَلَلْتُ أَرْقُبُهُ
- مِنْ خِلَالِ الْأَغْصَانِ - حَتَّى
اسْتَخْفَى عَنْ نَاضِرِي (غَابَ عَنْ
عَيْنِي) ، فَقَضَيْتُ الْعَجَبَ مِمَّا
رَأَيْتُ .





٣ - «أَبُو غَزْوَانَ»

فَقَالَتْ «أُمُّ رَاشِدٍ» :

«لَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ فِي بُيُوتِ هَؤُلَاءِ الْإِنْسِيِّ (النَّاسِ) حَيَوَانًا شَرِيرًا
اسْمُهُ الْقِطُّ ، وَكُنْيَتُهُ «أَبُو غَزْوَانَ» . وَهُوَ يَأْكُلُ الْفَارَ فَلَا تَنْجُو مِنْ مِخْلَبِيهِ
فَآرَةٌ يَرَاهَا : بِالِغَةِ مَا بَلَغَتْ مِنَ الْمَهَارَةِ وَالْقُوَّةِ .

وَلَقَدْ حَدَّثُونِي عَنْهُ - فِيمَا حَدَّثُونِي - أَنَّ لَهُ شَارِبَيْنِ طَوِيلَيْنِ ، يَذْعُرَانِ
(يُخَوِّفَانِ) مَنْ يَرَاهُمَا ، وَيَمْلَأْنَ قَلْبَهُ رَهْبَةً وَهَلَعًا (خَوْفًا وَفَزَعًا) .

وَلَقَدْ رَفَضْتُ أَنْ أَصْحَبَ أَبَوَى فِي هِجْرَتِهِمَا ، خَشْيَةً هَذَا الْحَيَوَانِ
الضَّارِي (الْفَتَّاكِ) الْجَرِيءِ الْبَاطِشِ الْمُفْتَرَسِ» .

٤ - الْحَيَاةُ الْحُرَّةُ

فَقَالَ «قُنْزَعَةُ» :

«لَقَدْ عَرَفْتُ مَنْزِعَكَ (طَبِيعَةَ نَفْسِكَ) يَا «أُمُّ رَاشِدٍ» ؛ فَأَنْتِ تُؤَثِّرِينَ
(تُخْتَارِينَ) - مِثْلَنَا - سُكْنَى الْغَابَاتِ ، حَيْثُ الْحَيَاةُ حُرَّةٌ وَالْهَوَاءُ طَلَقٌ .
وَلَقَدْ طَالَمَا قَالَتْ لِي جَدَّتِي : إِنَّ الْكَفَافَ (الْعَيْشَ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ
الضَّرُورِيَّةِ) مَعَ الْحُرِّيَّةِ خَيْرٌ مِنَ الرِّغْدِ (السَّعَةِ وَالتَّنْعَمِ) مَعَ الْعُبُودِيَّةِ !





وَحَيْرُ لَنَا أَنْ نَعِيشَ فِي بُيُوتِنَا : فَقَرَاءَ ، فَذَلِكَ أَشْرَفُ مِنْ أَنْ نَعِيشَ فِي
بُيُوتٍ غَيْرِنَا : أَغْنِيَاءَ . فَلْيَقْتَرِبْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ - أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ الْبَرَّةُ
(الطَّيِّبُونَ) لِنُخْلُوا مَكَانًا لِمَصْدِيقَتِنَا «أُمُّ رَاشِدٍ» !



٥. أُسْرَةُ الْقَرَّاضِينَ



فَقَالَتْ «أُمُّ رَاشِدٍ»: «طَبْتَ نَفْسًا، وَشَرُفْتَ أَصْلًا، يَا ابْنَ عَمٍّ، فَخَبَّرْنِي أَيُّهَا الْكَرِيمُ.. كَيْفَ أَشْكُرُ نِعْمَتَكَ عَلَيَّ؟».

فَقَالَ «أَبُو السَّنَاجِبِ»: «شَدَّ مَا تُضْحِكِينَنِي! يَا ابْنَةَ عَمٍّ! لِمَذَا تَشْكُرِينَ؟ أَقْسِمُ - بِقُصَّتِي - إِنَّنِي لَا أَرَانِي (أُظُنُّنِي) فَعَلْتُ إِلَّا بَعْضَ مَا يَجِبُ عَلَيَّ نَحْوِكَ! لَقَدْ نَزَلْتُ بِكَ الْأَحْدَاثُ (مَصَائِبُ الدَّهْرِ)، وَلَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ أَتَخَلَّى عَنْكَ فِي مُحْنَتِكَ. أَنْسَيْتِ - يَا عَزِيزَتِي - أَنَّنَا مِنْ أُسْرَةٍ وَاحِدَةٍ؟!».

فَاجَابَتْهُ «أُمُّ رَاشِدٍ»: «كَيْفَ أَنْسَى ذَلِكَ، يَا «أَبَا السَّنَاجِبِ»؟
أَلَسْنَا مِنْ أَبْنَاءِ تِلْكَ الْأُسْرَةِ الْعَظِيمَةِ الْمَاجِدَةِ.. أُسْرَةِ الْقَرَّاضِينَ (الْقَطَّاعِينَ)، الَّتِي تَقْطُنُ جَمِيعَ أَرْجَاءِ الْمَعْمُورَةِ (تَسْكُنُ كُلَّ أَنْحَاءِ الدُّنْيَا)، وَتَحْتَلُّ الْأَرْضَ مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا؟».

٦. بَنَاتُ الْعَمِّ

فَوَقَفَ «الَّلَامِعُ» أَمَامَ أَنْفِ «أُمِّ رَاشِدٍ»، وَظَلَّ يَنْعِمُ النَّظَرَ فِيهَا مَلِيًّا (وَقْتًا طَوِيلًا)، ثُمَّ قَالَ لِـ «فُنْزُعَةَ» مَدْهُوشًا:





«كَيْفَ تُقَرُّ «أُمَّ رَاشِدٍ» عَلَى أَنَّنَا مِنْ أُسْرَةٍ وَاحِدَةٍ ؟ لَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُكَ
تُدَاعِبُهَا (ظَنَنْتُكَ تُمَارِجُهَا) ، حِينَ تَدْعُوهَا بِابْنَةِ عَمِّكَ ، وَلَكِنِّي أَلْمَحُ
(أَرَى) الْجِدَّ فِي حَدِيثِكُمَا ، وَلَا أَرَى - فِيمَا تَقُولَانِ - شَيْئًا مِنَ الدُّعَابَةِ
(الْفُكَاهَةِ وَالْهَزْلِ) . وَمَا أَدْرَى : كَيْفَ تَكُونُ هَذِهِ الْمَخْلُوقَةُ الصَّغِيرَةُ
الْجِرْمَ (الْحَجْمَ) ، الضَّئِيلَةَ الْجِسْمِ ، مِنْ بَنَاتِ عَمَّنَا ؟ هَذَا مَا لَا أَفْهَمُهُ !» .





٧. أَسْنَانُ الدَّوَابِّ

فَصَاحَ «قُنْزَعَةً» :

«أَلَا تَكْفُ عَنْ هَذَرِكَ (عَبَثِكَ وَمُزَاحِكَ) أَيُّهَا الْغَبِيُّ؟ مَا بِأَلْكَ تُغْلِظُ الْقَوْلَ؟! أَلَا تَدْرِي بِأَيِّ مِيزَةٍ تَتَعَرَّفُ فَصَائِلَ الْحَيَوَانِ (أَنْوَاعِهِ)؟ أَلَمْ أَشْرَحْ لَكُمْ هَذَا مِنْ قَبْلُ؟» .

فَقَالَ «السَّاطِعُ» : «صَدَقْتَ - يَا أَبَتِي - فَقَدْ حَدَّثْنَا أَنَّ الدَّوَابَّ تُعَرَّفُ بِأَسْنَانِهَا» .

فَقَالَ «قُنْزَعَةً» : «مَرَحَى ، مَرَحَى (أَحْسَنْتَ ... أَحْسَنْتَ) أَيُّهَا الذِّكِيُّ الصَّغِيرُ! تَعَالَ إِلَى جَانِبِي ، وَافْتَحْ فَأَكْ ، عَلَى مَدَى اتِّسَاعِهِ . وَتَعَالَ ، يَا «لَامِعُ» فَانْظُرْ .. كَمْ سِنًّا أَمَامِيَّةً فِي فَمِ أَخِيكَ الصَّغِيرِ؟» . فَحَدَّقَ «اللَّامِعُ» بَصَرَهُ - كَمَا أَمَرَهُ أَبُوهُ - ثُمَّ قَالَ لَهُ : «أَرَى ثُنْتَيْنِ فِي الْفَكِّ الْأَعْلَى مِنَ الْحَنَكِ ، وَثُنْتَيْنِ فِي الْفَكِّ الْأَسْفَلِ وَمَجْمُوعُهُمَا أَرْبَعُ أَسْنَانٍ» .

٨. الْقَوَاطِعُ

فَقَالَ «قُنْزَعَةً» :

«صَدَقْتَ ، يَا «لَامِعُ» . فَهَلْ تَعْرِفُ اسْمَ هَذِهِ الْأَسْنَانِ الْمُسْتَعْرِضَةِ؟ إِنَّهَا تُسَمَّى الْقَوَاطِعُ . أَفَهِمْتَ يَا «لَامِعُ»؟» .





فَقَالَ لَهُ «لَامِعٌ»، وَقَدْ تَطَلَّقَ مُحْيَاهُ (اَنْبَسَطَ وَجْهُهُ) بِشَرًّا وَحُبُورًا : «نَعَمْ
- يَا أَبْتَاهُ - فَهِيَ تُسَمَّى الْقَوَاطِعَ» .

فَاسْتَأْنَفَ «قُنْزَعَةُ» قَائِلًا :

«وَاعْلَمُوا أَنَّ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ الْقَرَّاضَةِ الْمُتَسَلِّقَةِ الَّتِي
تَشْتَمِلُ عَلَيْنَا، مَعْشَرَ السَّنَاجِيبِ - وَعَلَى بَنَاتِ أَعْمَامِنَا الْجِرْذَانِ وَالْفِيرَانِ
- أَرْبَعَ أَسْنَانٍ قَاطِعَةٍ ، نَسْتَعْمَلُهَا لِلْقَرْضِ (الْقَطْعِ)» .

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى «أُمِّ رَاشِدٍ» ، قَائِلًا :

«أَتَأْذِنِينَ - مَتَفَضِّلَةً - يَا ابْنَةَ عَمِّ - أَنْ تَفْتَحِي فَاكِ ، لِيَرَى هَذَا الطَّائِشُ
مِصْدَاقَ (بُرْهَانِ) مَا أَقُولُ؟» .

فَقَالَتْ لَهُ «أُمُّ رَاشِدٍ» :

«لَيْسَ أَحَبَّ إِلَيَّ نَفْسِي مِنْ تَلْبِيَةِ أَمْرِكَ ، يَا ابْنَ عَمِّ» .





٩. أَسْنَانُ «أُمِّ رَاشِدٍ»

ثم انتصبت واقفةً على رجليها الخلفيتين . وفتحت فاهَا - على مدى اتساعِهِ - فكان شكلُها غايةً في البشاعةِ (الفظاعة) . ولم يتمالكِ «اللامعُ» أن يضحك من رؤيتها . وأراد «الساطعُ» و «البراقُ» أن يتابعا أخاهما في ضحكِهِ ، ويحذوا حذوه ؛ ولكن «قنزعة» - وهو يُبغضُ المزارحَ في مواطن الجدِّ - قطب حاجبيه (جمعَ لَحْمَهُمَا كما يفعلُ الإنسانُ ، إذا عبَسَ وغَضِبَ) ، فلم يستطعَ أحدٌ منهم أن يواصلَ ضحكَهُ .

وأنشأ «اللامعُ» يعدُّ أسنانَ «أمِّ راشِدٍ» ، بصوتٍ مرتفعٍ :
«واحدة .. ثنتان .. ثلاث ... أربع» .

وثمة (وهناك) أدرك «اللامعُ» خطأه ، وجهله ؛ فطأطأ رأسه مُجمِّمًا (متكلمًا بكلامٍ غيرٍ واضحٍ) :
«إنَّ لها أربعَ أسنانٍ قاطعةٍ أيضًا !» .

١٠. اعتذارُ النَّادِمِ

فقال «قنزعة» :

«فهل أيقنت (تَبَّتْ) الآن - يا «لامعُ» - أنَّ الفأرَ والسَّناجيبَ ، مِنْ أَسْرَةٍ واحدةٍ ، وأصلٍ واحدٍ ؟





وَهَلْ أَدْرَكْتَ - أَيُّهَا الْمَغْرُورُ - أَنَّكَ أَمَعَنْتَ فِي الْإِسَاءَةِ (بَالِغَتْ فِيهَا) إِلَى هَذِهِ الضَّيْفِ الْعَزِيزَةِ؟
فَهَلُمَّ (أَقْبِلْ) - يَا «لَامِعُ» - فاعْتَذِرْ لَابْنَةِ عَمِّكَ مِمَّا أَسْلَفْتَ مِنْ إِسَاءَةٍ وَعُقُوقٍ .

فَتَوَجَّهَ «لَامِعُ» إِلَى بِنْتِ عَمِّهِ «أُمِّ رَاشِدٍ» مُعْتَذِرًا نَادِمًا .
وَمَا كَانَ أَسْرَعَ صَفْحَهَا وَغُفْرَانَهَا (سُرْعَانَ مَا سَامَحَتْهُ وَتَجَاوَزَتْ عَنْ ذَنْبِهِ وَغَفَرَتْ لَهُ إِسَاءَتَهُ) ! فَلَقَدْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ «أُمُّ رَاشِدٍ» تَدَاعِبُهُ ، وَتَتَوَدَّدُ إِلَيْهِ (تُمَازِحُهُ وَتَتَحَبَّبُ إِلَيْهِ) ، وَتَلَحُّسُهُ بِلسَانِهَا اللَّطِيفِ .





الفصل الرابع

١. آلام الجوع

ثُمَّ سَادَ الصَّمْتُ زَمَنًا يَسِيرًا (وَقْتًا قَلِيلًا) ، وَظَلَّتِ السَّنَاجِبُ تَصْقُلُ (تُلَمَعُ) بِالسِّنَتِهَا جُلُودَهَا ، وَتَلَحْسُهَا. وَبَدَا الْإِرْتِبَاكُ وَالْقَلْقُ عَلَى وَجْهِ «أُمِّ رَاشِدٍ» . فَسَأَلَهَا «أَبُو السَّنَاجِبِ» عَنْ مَصْدَرِ هَمِّهَا وَانْزِعَاجِهَا ، فَقَالَتْ مُجْمَعَةً :

«لَقَدْ نَفَدَ صَبْرِي - يَا أَبْنَاءَ عَمِّي - وَاشْتَدَّتْ بِي آلامُ الْجُوعِ ، حَتَّى صِقْتُ بِهَا ذَرْعًا (ضَعُفْتُ طَاقَتِي) ، وَقَلَّ احْتِمَالِي ، وَلَمْ أَجِدْ لِلْمَكْرُوهِ فِيهَا (مَخْلَصًا) . فَقَدْ لَبِثْتُ (بَقِيْتُ) - مُنْذُ مَسَاءِ الْاَمْسِ إِلَى الْيَوْمِ - دُونَ طَعَامٍ . فَهَلْ أَجِدُ فِي بَيْتِكُمْ شَيْئًا مِنَ الزَّادِ ؟» .

فَقَالَ «قُنْزَعَةُ» : «مَا أَشَدَّ بَلَاهَتِي (مَا أَعْظَمَ غَفْلَتِي وَغَبَاوَتِي) ، وَمَا أَقَلَّ ذَوْقِي وَفِطْنَتِي ! فَقَدْ أَنْسَيْتُ هَذَا الْوَاجِبَ - يَا ابْنَةُ عَمِّ - وَلَيْسَ عِنْدِي - لِسُوءِ الْحِظِّ - شَيْءٌ تَقْرِضِينَهُ (تَقْطَعِينَهُ) الْآنَ . فَتَرَيْنِي (أَنْتَظِرِي) لِحَفَاطِ سِيرَةٍ (زَمَنًا قَلِيلًا) ، حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكَ بِشَيْءٍ مِنَ الزَّادِ» .



٢- فى زمهرير الشتاء

ثُمَّ تَحَفَّزَ (تَأَهَّبَ) «قُنْزَعَةُ» لِلْخُرُوجِ مِنَ الْعُشِّ ، وَلَكِنَّهُ مَا كَادَ يُطِلُّ بِأَنْفِهِ ،
حَتَّى عَادَ أَدْرَاجَهُ (رَجَعَ مِنْ حَيْثُ أَتَى) ، وَهُوَ يَصِيحُ فَرَحَانَ :
«يَا لَهُ مِنْ بَرْدٍ قَارِسٍ (شَدِيدٍ) ، لَقَدْ تَحَدَّرَ الْجَلِيدُ (تَسَاقَطَ الثَّلْجُ) ،
فَمَلَأَ الدُّنْيَا . فَهَلُمُّوا (أَقْبِلُوا) - أَيُّهَا الْأَعْزَاءُ - لِنَتَرَوْا ذَلِكَ الْمَنْظَرَ الْبَدِيعَ » .





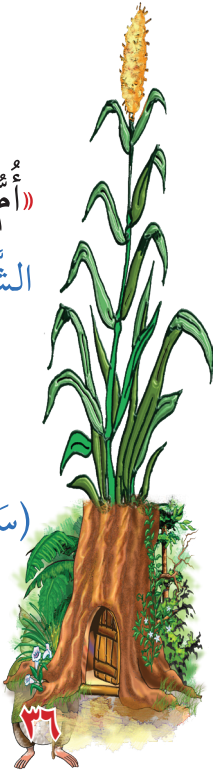
فَخَرَجُوا جَمِيعًا ، وَظَلُّوا يَثْبُونَ (يَقْفُزُونَ) بَيْنَ الْأَغْصَانِ ، وَظَلَّ الْجَلِيدُ
يَتَحَدَّرُ (يَتَساقَطُ) عَلَى فِرَائِهِمْ ، فَيَزِيدُهُمْ فَرَحًا وَإِنْسَاءً..
وَلَكِنَّ السَّنَاجِبَ الصَّغِيرَةَ لَمْ تُطِقِ الْبَقَاءَ طَوِيلًا فِي هَذَا الزَّمْهِرِ
(اِسْتِدَادِ الْبَرْدِ) ؛ فَقَدْ عَجَزَتْ أَرْجُلُهَا الْعَارِيَّةُ عَنِ احْتِمَالِ الْبَرْدِ الْقَارِسِ
(الشَّدِيدِ) .

فَقَالَ «سَاطِعُ» : «عُودُوا (ارْجِعُوا) بِنَا إِلَى الْعُشِّ . فَقَدْ كَادَ جِسْمِي
يَجْمَدُ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ !» .
فَتَرَكَهُمْ آبُوهُمْ ، لِيُحْضِرَ الطَّعَامَ لِيَصْنِفِهِ الْعَزِيزَةُ .

٣ - ذَكَرِيَّاتُ «أُمِّ رَاشِدٍ»

فَعَادُوا جَمِيعًا إِلَى الْعُشِّ ، وَلَمْ يَكَدْ يَسْتَقِرُّ بِهِمُ الْمَقَامُ .. حَتَّى قَالَتْ
«أُمُّ رَاشِدٍ» : «لَقَدْ أَرْعَجَتْكُمْ - أَيُّهَا الصَّغَارُ الْأَعْزَاءُ - هَذِهِ الْعَاصِفَةُ (الرَّيْحُ
الشَّدِيدَةُ) الْبَارِدَةُ الْمُفْزَعَةُ» .

فَقَالُوا لَهَا : «صَدَقْتَ ، يَا ابْنَةَ عَمِّ» .
فَقَالَتْ «أُمُّ رَاشِدٍ» : «أَهْ ، لَوْ أَنَّ أُمُّكُنَّ هُنَا ! إِذْنِ لَهَدَّأَتْ مِنْ رَوْعِكُنَّ
(سَكَنْتُ مِنْ قَلْبِكُنَّ) . فَإِنِّي أَعْرِفُهَا سِنْجَابَةً طَيِّبَةَ النَّفْسِ ، جَرِيئَةَ الْقَلْبِ ،
لَا يُدَانِيهَا مِنْ بَنَاتِ السَّنَاجِبِ أَحَدٌ فِي خِلَالِهَا (خِصَالِهَا) الْجَمِيلَةِ ،
وَمَزَايَاها الْحَمِيدَةِ .





وَلَعَلَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَ مَاذَا صَنَعْتُ أُمُّكُمْ الْعَزِيزَةُ فِي سَبِيلِ إِنْقَادِكُمْ ،
حِينَ كُنْتُمْ - فِي أَوَّلِ نَشَأَتِكُمْ - أَطْفَالًا صِغَارًا ؟ .
فَقَالُوا لَهَا : « كَلَّا . لَمْ نَعْرِفْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ » .

٤ - مَوْلِدُ السَّنَاجِيبِ

فَقَالَتْ « أُمُّ رَاشِدٍ » : « أَلَمْ يُحَدِّثْكُمْ أَبُوكُمْ هَذَا الْحَدِيثَ الطَّرِيفَ ؟
اصْغُوا إِلَيَّ ، فَإِنِّي قَاصَّتُهُ عَلَيْكُمْ ، أَيُّهَا الْأَعَزَّاءُ :
لَمَّا وُلِدْتُمْ - أَيُّهَا الصِّغَارُ الْأَعَزَّاءُ الْمَحْبُوبُونَ - ابْتَهَجَ بِكُمْ أَبَوَاكُمْ ، وَسُرًّا
سُرُورًا عَظِيمًا . وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمَا
الْأَصْدِقَاءُ يُهْنِئُونَهُمَا بِوِلَادَتِكُمْ
وَامْتِلَأَ قَلْبُ أُمِّكُمْ الْحُنُونِ
(الرَّحِيمَةِ) فَرَحًا وَغِبْطَةً بِهِذِهِ
الْعَرَائِسِ الصَّغِيرَةِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي
وَلَدَتْهَا . وَعَاشَتْ - إِلَى جَانِبِكُمْ -
أَسْعَدَ عَيْشٍ وَلَمْ يَكْدُرْ صَفْوَهَا
أَيُّ مُكْدَّرٍ .





٥ - عَدُوُّ السَّناجِبِ

وفى ذاتِ يومٍ ، أَبْصَرْتُ (رَأَيْتُ) - وهى خارجةٌ - حَيَوَانًا أَسْوَدَ ، يَدُورُ
حَوْلَ شَجَرَتِكُمْ ، مُتَحَفِّزًا لِلْفَتْكِ (مُتَوَثِّبًا مَتَأَهِّبًا لِلْبَطْشِ وَالِافْتِرَاسِ)
اسْمُهُ : «الدَّلَقُ» . وهو حيوانٌ شَرِسٌ ، شديدُ الخَطَرِ ، فى مثلِ حجمِ
القِطِّ وهَيْئَتِهِ ؛ وَلَكِنَّهُ أَحْمَرُ الجِسمِ ، أبيضُ الحَلْقِ والصَّدْرِ ، وهو مِن الدِّ
أَعْداءِ شَعْبِ السَّناجِبِ النَّبِيلِ . فاحذَرُوا مِنْهُ - أَيُّهَا الأَعزَّاءُ - ولا تُخْطِئُوا
شَكْلَهُ . فَإِنَّهُ أَقْرَبُ حيوانٍ شَبَّهاً بِالْقِطِّ .

أِهْ لَكُمْ ، أَيُّهَا الصَّغارُ ! وَوَاهِ مِنْ تَلَكُمُ الوُحُوشِ الْمُفْتَرِسَةِ الَّتِى تُزْعِجُ
الْأَمِينِ الوادِعِينَ ! فَلَوْلَاها ، لَأَصْبَحَتِ الدُّنْيَا جَنَّةً ، وَعَاشَ فِيها أَهْلُها
فى غِبْطَةٍ وسَعادَةٍ دائِمِينَ .

٦ - فَرْعُ الوالِدِ

وَلَمْ تَكَدْ أُمُّكُمْ الحَنُونُ تَرى هَذا «الدَّلَقَ» حَتَّى امْتَلَأَ قَلْبُها رُعبًا ،
فَأَسْرَعَتْ إِلى العُشِّ مَدْعُورَةً (خائفةً) ، وَلَمْ تَسْتَطِعِ الخُرُوجَ مِنْهُ . وكان
أَبُوكُمْ العَزِيزُ غائِبًا فى ذَلِكُمُ اليَوْمِ . فَقَدْ ذَهَبَ - فيما حَدَّثَنِى - لزيارةِ
أَحَدِ أَعْمامِكُمْ ، فى الغابَةِ المُجاوِرَةِ . وَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ (أَظْلَمَ) ، عادَ
- فى طَرِيقِهِ إِلى عُشِّهِ - مُطْمَئِنًّا ، وفى فَمِهِ جَوْزَةٌ لذيذَةُ الطَّعْمِ ، وَقَلْبُهُ





مُنْشِرُحُ مَسْرُورٌ بِقُرْبِ لِقَائِكُمْ . وَلَكِنَّ سُرُورَهُ تَبَدَّلَ غَمًّا وَهَمًّا وَانْزِعَاجًا ،
حِينَ رَأَى «الدَّلَقَ» خَارِجًا مِنْ عُشِّكُمْ . فَاَمْتَلَأَ قَلْبُهُ ذُعْرًا ، وَخَرَجَ هَائِمًا
(مُتَحِيرًا) فِي الْغَابَةِ . وَظَلَّ يَقِفُ - فِي أَثْنَاءِ طَرِيقِهِ - مَذْهُولًا مُضْطَرِبًا ، وَهُوَ
يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ : «وَاسَاطِعَاهُ ! وَالْأَمِعَاهُ ! وَابِرَّاقَاهُ ! وَازُوجَاهُ ! أَيْنَ مِنْ
عَيْنَيَّ «السَّاطِعُ» وَ«الَّلَامِعُ» وَ«الْبَرَّاقُ» ، وَ«غَدِيرَةٌ» أُمُّ السَّنَاجِبِ !» .





فلا يُجِيبُهُ أَحَدٌ . وَثَمَّةَ أَيْقَنَ أَبُوكم أَنَّ «الدَّلَقَ» الْخَبِيثَ قَدْ فَتَكَ بكم
(افْتَرَسَكُم) جَمِيعًا .



٧ . فَرَحَةُ اللَّقَاءِ

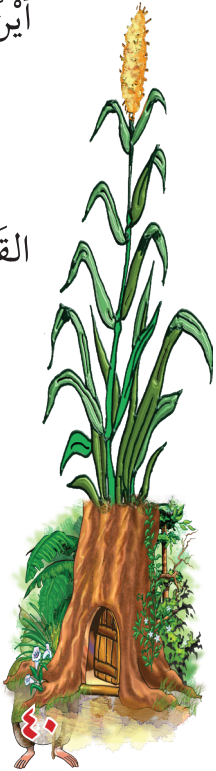
وَلَمَّا أَصْبَحَ ، وَقَفَ عِنْدَ جَذْعِ شَجَرَةٍ ، وَقَدْ جَهَّذَهُ (أَرْهَقَهُ وَأَضْنَاهُ)
التَّعَبُ وَالسَّهَرُ وَالْحُزْنُ ، فَمَاذَا رَأَى ؟ لَقِيَ رَأَى أُمُّكم الْعَزِيزَةَ جَادَّةً فِي
الْبَحْثِ عَنْهُ . فَلَمَّا رَأَتْهُ «عَدِيرَةُ» بَكَتْ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ ، وَقَالَتْ لَهُ :
«أَلْفُ شُكْرٍ لِلَّهِ عَلَى سَلَامَتِكَ !» .

فَبَادَرَهَا قَائِلًا : «كَمْ أَنَا سَعِيدٌ بِلُقْيَاكِ (بِلِقَائِكِ) ! فَحَدِّثِينِي - بِرَبِّكِ -
أَيْنَ الْأَوْلَادِ ؟» .

فَقَالَتْ «عَدِيرَةُ» : «لَقَدْ نَجَوْنَا - بِحَمْدِ اللَّهِ - مِنَ الْهَلَاكِ !» .
ثُمَّ سَارَتْ مَعَهُ إِلَى عُشِّ قَدِيمٍ ، هَجَرَهُ غُرَابٌ ، فَلَمَّا صَعِدَا إِلَى شَجَرَةِ
الْقُسْطَلِ ، وَجَدَاكُم : وَادِعَيْنِ مَسْرُورَيْنِ .

٨ . النِّجَاةُ مِنَ الدَّلَقِ

فَابْتَهَجَ أَبُوكم بِسَلَامَتِكُمْ . وَاسْتَوَلَى عَلَيْهِ الْفَرَحُ . وَظَلَّ يُقَبِّلُكُمْ ،
وَيَرْقُصُ - مِنْ فَرَطِ سُورِهِ - حَوْلَ عُشِّكُمْ ، وَيَسْتَمِيعُ إِلَى حَدِيثِ أُمِّكُمْ ،
وَهِيَ تَقُولُ :





«عِنْدَمَا رَأَيْتُ «الدَّلَقَ» يَذْنُو مِنَ الشَّجَرَةِ ، كَانَ اللَّيْلُ قَدْ أَرَخَى عَلَى
الْغَابَةِ سُدُولَهُ (سُتُورَهُ) . فَحَمَلْتُ أَوْلَادِي بَيْنَ أَسْنَانِي ، وَوَضَعْتُهُمْ عَلَى
عُنُقِي ، وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ ، إِلَى هَذَا الْعُشِّ الْمَهْجُورِ الَّذِي تَرَكَهُ صَاحِبُهُ
«الْغَرَابُ» .

٩ - شُكْرُ السَّنَاجِيبِ

وَكَانَتْ «السَّنَاجِيبُ» جَالِسَةً عَلَى أَقْدَامِهَا الْخَلْفِيَّةِ ؛ رَافِعَةً أُذُنَيْهَا ،
مُضْغِيَةً إِلَى حَدِيثِ «أُمِّ رَاشِدٍ» وَقَدْ اشْتَدَّ عَجَبُهُمْ مِمَّا سَمِعُوا .
فَلَمَّا انْتَهَتْ مِنْ كَلَامِهَا ، هَزُّوا رُؤُوسَهُمْ وَنَوَاصِيَهُمْ (وَهَيَ : الشَّعْرُ
الْمُقَدَّمُ فِي رُءُوسِهِمْ) مَدْهُوشِينَ ، وَقَالُوا لَهَا بِلِسَانٍ وَاحِدٍ :
«شُكْرًا لَكَ . شُكْرًا لَكَ - يَا ابْنَةَ عَمِّ - عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ الْعَجِيبِ
السَّائِقِ» .



١٠ - مَخْزَنُ الْجَوْزِ

وَكَانَ «قُنْزَعَةُ» - فِي أَثْنَاءِ هَذَا الْوَقْتِ - يَبْذُلُ جُهْدَهُ فِي رَفْعِ الثَّلَجِ بِأَيْدِيهِ ،
بِجَوَارِ عَرِيْشَةِ الْجَوْزِ ، وَقَدْ كَانَ يَخْبَأُ عِنْدَهَا مَوْؤُنَةُ الْخَرِيفِ الْمَاضِي .
وَقَدْ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ الْإِهْتِدَاءُ إِلَى مَكَانِ الطَّعَامِ - حِينَئِذٍ - بَعْدَ أَنْ غُطِّيَتْ





الأَرْضُ بِالْجَلِيدِ ، فَظَلَّ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قَائِلًا : « مَا أَظُنُّنِي مَخْدُوعًا فِي تَعَرُّفِ الْمَكَانِ ، عَلَى أَىِّ حَالٍ ! إِنَّهُ - فِيمَا أَعْلَمُ - أَمَامَ شَجَرَةِ الْبَلُوطِ الْجَوْفَاءِ الَّتِي كَانَ يَعِيشُ فِيهَا صَدِيقِي «أَبُو سَنْجَبٍ» . ثُمَّ ظَلَّ يَحْفِرُ الْجَلِيدَ بِيَدَيْهِ الْمَاهِرَتَيْنِ ، حَتَّى عَثَرَ عَلَى ضَالَّتِهِ (حَاجَتِهِ) . فَصَاحَ مَزْهُوًّا فَرِحًا :
«مَرَحَى ! مَرَحَى ! لَقَدْ عَثَرْتُ عَلَى مَكْمَنِ الزَّادِ (مَخْبِئِ الطَّعَامِ) .
آه ! مَا بَالُ الْمَوْوَنَةِ فِي نَقْصٍ كَبِيرٍ ! وَمَا بَالُ الْمَخَابِئِ الْآخَرَى خَاوِيَةً (خَالِيَةً) ؟ لَيْسَ لِي مِنْ حِيلَةٍ إِلَّا الصَّبْرُ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ ، الَّذِي لَا يَنْسَى أَحَدًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ ! » .

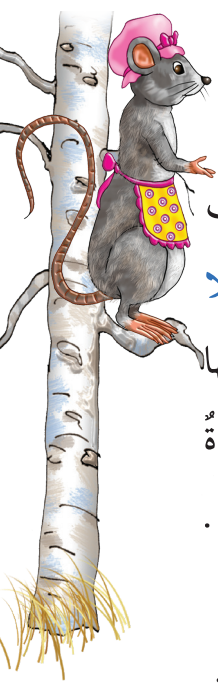
ثُمَّ أَمْسَكَ فِي فَمِهِ بِجَوْزَةٍ جَمِيلَةٍ ، ثَقِيلَةِ الْوِزْنِ ، وَغَطَّى مُسْتَوْدَعَ الزَّادِ بِالْجَلِيدِ ، كَمَا كَانَ ، وَعَادَ مُسْرِعًا إِلَى عُشِّهِ الْأَمِينِ .

١١ - الْجَوْزَةُ الشَّهِيَّةُ

وَلَمَّا عَادَ إِلَى عُشِّهِ ، سَمِعَ «أُمَّ رَاشِدٍ» تُحَدِّثُ أَوْلَادَهُ أَحَادِيثَهَا الْجَمِيلَةَ ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ مُتَعَجِّبًا :

« يَا لَهَا مِنْ ثَرَنَارَةٍ عَجِيبَةٍ ، فَقَدْ شَغَلَهَا الْحَدِيثُ عَنِ الْجُوعِ وَالْأَمَةِ ! » .
وَلَمَّا رَأَاهُ أَوْلَادُهُ ، فَرِحُوا بِعَوْدَتِهِ ، وَحَيَّوهُ مَسْرُورِينَ . فَأَعْطَى ضَيْفَهُ تِلْكَ الْجَوْزَةَ الشَّهِيَّةَ الَّتِي أَحْضَرَهَا ، وَهِيَ تَبْرُقُ مِنَ الرُّطُوبَةِ ، وَقَالَ لَهَا :
« هَاكَ مَا طَلَبْتَ . وَلَعَلَّ هَذِهِ الْجَوْزَةُ تُلَاقِمُ ذَوْقَكَ ، أَيَّتُهَا الْعَزِيزَةُ ! » .





فشكرت له هديته ، وأمسكت بها بين يديها الأماميتين . وبرقت
(لمعت) عيناها من الفرح ، وتحرك ذنبها طرباً ، ولم تضع وقتها عبثاً (بلا
فائدة) ، فظلت تقضمها (تعضها بأطراف أسنانها) ، فيسمع لقضمها
صوت مثل صرير المنشار . وما زالت تغرس أسنانها الحادة ، وهي جادة
في قضم الجوزة ، حتى ثقبته ثقباً يكفى لإدخال فيها الصغير المدبب .
فصاحت قائلة :

«يا لها من رائحة ذكيّة ، يا ابن عم ! ما أشهاها (ما ألذها) جوزة !» .



١٢ - فائدة القَصْمِ



وكان صِغارُ السَّناجِبِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا - فِي دَهْشٍ وَعَجَبٍ - فَقَالَ لَهُمْ
أَبُوهُمْ : « إِنَّ السَّنَجَابَ الْعَاقِلَ الرَّشِيدَ يَقْسِمُ الْجَوْزَةَ نَصْفَيْنِ ، قَبْلَ أَنْ
يَهْمَّ بِأَكْلِهَا » .

وَلَمَّا فَرَغَتْ « أُمُّ رَاشِدٍ » مِنْ طَعَامِهَا مَسَحَتْ فَاهَا بِيَدَيْهَا ، وَفَاضَ الْفَرْحُ
عَلَى وَجْهِهَا ، فَقَالَتْ :

« لَقَدْ ارْتَاحَ بَالِي ، وَنَجَوْتُ مِنْ آلامِ الْجُوعِ . فَأَنْتَ تَعْلَمُ - يَا ابْنَ عَمِّ
- أَنَّ أَسْنَانَنَا تَنْمُو دَائِمًا وَتَطُولُ ، وَلَا يُقْصَرُهَا إِلَّا مُوَالَاةُ الْقَصْمِ وَالْقَرْصِ ،
وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَهَلَكْنَا مِنْ فَرْطِ الْأَلَمِ . فَهَلْ تَأْذَنُ لِي فِي أَنْ أَعُودَ مِنْ حَيْثُ
أَتَيْتُ ، فَإِنِّي قَدْ ضَايَقْتُكُمْ كَثِيرًا » .

فَقَالَ « قُنْزَعَةُ » : « كَلَّا ، لَا تُفَكِّرِي فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، يَا عَزِيزَتِي . فَإِنَّكَ
لَمْ تُزْعِجِينَا ، بَلْ أَدْخَلْتِ السُّرُورَ وَالْفَرَحَ عَلَى قُلُوبِنَا . وَلَيْسَ فِي قُدْرَتِكَ أَنْ
تَجُولِي (تَطُوفِي) فِي الْغَابَةِ الْآنَ ، بَعْدَ أَنْ غُطِّيتِ أَرْضُهَا بِالْجَلِيدِ » .

فَقَالَتْ « أُمُّ رَاشِدٍ » : « شُكْرًا لَكَ - يَا ابْنَ عَمِّ - عَلَى كَرَمِكَ وَسِمَاحَتِكَ
(جُودِكَ) ؛ فَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَرْعِجُكُمْ وَأُضَايِقُكُمْ » .

فَصَاحَ صِغارُ السَّناجِبِ : « كَلَّا ، كَلَّا ، فَقَدْ مَلَأَتْ قُلُوبُنَا بِشَرًّا وَسُرُورًا
بِأَحَادِيثِكَ الطَّرِيفَةِ . فَالْبَيْتُ (اْمُكْتَبَةُ) مَعَنَا ، لِنُحَدِّثَ بِنَا بِأَسْمَارِكَ
الْمُعْجَبَةِ » .





١٣ - القَرَقْدَانُ والقَرَقْدُونُ

فقال «أبو السَّنَجِيبِ» :

«هَلْ قَصَصْتَ عَلَيْهِمْ قِصَّةَ «القَرَقْدَانِ والقَرَقْدُونِ» ؟» .

فَقَالَتْ «أُمُّ رَاشِدٍ» : «كَلَّا ، لَمْ أُحَدِّثْهُمْ بِقِصَّةِ هَذَيْنِ السَّنَجَابَيْنِ العَجِيبَةِ ، وَقَدْ ذَكَرْتَنِي - يَا ابْنَ عَمِّ - بَعْدَ أَنْ أَوْشَكَتُ (كِدْتُ) أَنْ أَنْسَاهَا» .

فَصَاحَ السَّنَجِيبُ :

«مَا هِيَ تِلْكَ الْقِصَّةُ ، يَا ابْنَةَ عَمِّ ؟ بِرَبِّكَ حَدِّثِينَا بِهَا ، أَيَّتُهَا الضَّيْفُ الكَرِيمَةُ !» .





الفصل الخامس

١. قصة السنجابيين

فقلت «أُمُّ رَاشِدٍ» : «إني مُحَدِّثُكُمْ بِقِصَّةِ هَذَيْنِ السَّنْجَابِيَيْنِ ، فَإِنَّ فِيهَا لَعِبْرَةً لِمَنْ يَعْتَبِرُ (مَوْعِظَةً لِمَنْ يَتَّعِظُ)» . ثُمَّ أَنْشَأْتُ تَقُولُ :

٢. نَزْهَةُ الْقَرَقَذَانِ

«كَانَ - يَا مَا كَانَ - فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ . وَسَالَفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ ، سِنْجَابَانِ شَقِيقَانِ : اسْمُ أَحَدِهِمَا : «الْقَرَقَذُونُ» ، وَاسْمُ أُخِيهِ الْآخَرُ «الْقَرَقَذَانُ» . وَكَانَا - حِينئذٍ - طِفْلَيْنِ صَغِيرَيْنِ ، يَقْطُنَانِ (يَسْكُنَانِ) شَجَرَةً عَجُوزًا ، فِي غَابَةِ مُظْلَمَةٍ ، تَكْتَنِفُهَا (تُحِيطُ بِهَا) الْأَشْجَارُ الْكَثِيفَةُ (الكَثِيرَةُ ، الْمَتْرَاكُ بِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ) . وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ عَنَّنَ (عَرَضَ) لَهُمَا أَنْ يَهْبِطَا إِلَى الْأَرْضِ ، وَيَلْعَبَا بَيْنَ النَّبَاتَاتِ وَالْأَعْشَابِ وَالشُّجَيْرَاتِ الصَّغِيرَةِ .

وَكَانَ «الْقَرَقَذَانُ» أَشْجَعَ مِنْ أُخِيهِ «الْقَرَقَذُونِ» ، فَلَمْ يَتَرَدَّدْ فِي تَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِهِ ، وَخَرَجَ مُنْفَرِدًا إِلَى الْغَابَةِ . وَظَلَّ يَجُوسُ أَثْنَاءَهَا (يَمْشِي خِلَالَهَا) طُولَ يَوْمِهِ ، حَتَّى جَنَّ اللَّيْلُ (أَظْلَمَ) ؛ فَعَادَ إِلَى عُشِّهِ لِيَنَامَ .







٣. شَجَرَةُ الْجَوْزِ

وَلَمَّا رَأَاهُ شَقِيقُهُ «الْقَرَقَذُونُ» ، سَأَلَهُ مَتَعَجِّبًا :

«أَيْنَ قَضَيْتَ يَوْمَكَ ، يَا أَخِي «الْقَرَقَذَانُ» ؟» .

فَحَدَّثَهُ «الْقَرَقَذَانُ» بِكُلِّ مَا رَأَاهُ فِي تَجَوُّلِهِ (فِي سِيرِهِ) مِنْ غَرَائِبَ وَمُدْهَشَاتٍ ، وَوَصَفَ لَهُ سُرُورَهُ وَابْتِهَاجَهُ بِتِلْكَ الرِّحْلَةِ الْقَصِيرَةِ ، الَّتِي قَضَاهَا فِي النَّهَارِ ، وَقَالَ لَهُ ، فِيمَا قَالَ :

«إِنَّ فِي الْغَابَةِ - يَا أَخِي - أَشْجَارًا لَا يُحْصِيهَا الْعَدُّ ، وَهِيَ أَكْبَرُ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَقُطِنُهَا وَأُضْحَمُ . وَفِيهَا مِنْ جَوْزِ الْبَلُوطِ ، وَثَمَرِهِ الْيَانِعِ (الَّذِي حَانَ قِطَافُهُ) مَا لَا يُحْصَى .

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمَهْرَةً (طَائِفَةً وَجُمْلَةً) كَبِيرَةً مِنْ شَجَرِ الْجَوْزِ الشَّهِيِّ (اللَّذِيذِ الطَّعْمِ) ؛ وَلَيْسَ فِي قُدْرَتِي أَنْ أَصِفَ لَكَ مِقْدَارَ مَا امْتَلَأَتْ بِهِ نَفْسِي مِنَ الْغِبْطَةِ (الْفَرَحِ) وَالسُّرُورِ بِهَذِهِ النُّزْهَةِ الْجَمِيلَةِ .
أَلَا تُحِبُّ أَنْ تَصْحَبَنِي - فِي الْغَدِ - لِنَجُولَ مَعًا فِي أَرْجَاءِ الْغَابَةِ . (لِنَمْشِيَ فِي جَوَانِبِهَا) ؟» .

فَقَالَ لَهُ «الْقَرَقَذُونُ» ، وَهُوَ يَبْتَسِمُ :

«لَقَدْ أَعْجَبَتْنِي هَذِهِ الْفِكْرَةُ الْبَدِيعَةُ ، وَلَا بُدَّ لِي مِنْ مُصَاحَبَتِكَ غَدًا ، لِنَرْتَادَ (لِنَكْشِفَ) تِلْكَ الْأَصْقَاعَ (الْجِهَاتِ وَالنَّوَاحِيَ) الْمَجْهُولَةَ ، وَنَطْعَمَ تِلْكَ الثَّمَارَ الشَّهِيَّةَ . وَلَيْسَ أَحَبَّ إِلَيَّ نَفْسِي مِنْ تَحْقِيقِ هَذِهِ





الْأُمْنِيَّةُ ، الَّتِي طَالَمَا تَرَدَّدْتُ فِي تَحْقِيقِهَا ، مِنْ قَبْلُ . وَإِنِّي لِأَتَرَقَّبُ (أَنْتَظِرُ) الصَّبَاحَ الْبَاكِرَ بِفَارِغِ الصَّبْرِ .





٤. أَحْلَامٌ سَعِيدَةٌ

فَصَاحَتْ أُمُّهُمَا قَائِلَةً : «فِيمَ تَتَحَدَّثَانِ أَيُّهَا الْخَبِيثَانِ ؟ إِنِّي أَسْمَعُ ثَرْتَرَةً
(كَلَامًا كَثِيرًا مُرَدَّدًا مُعَادًا مُخَلِّطًا). فَمَا تَقُولَانِ ؟

أَلَا تَكْفَيَانِ عَنْ هَذَا الْعَبَثِ (الْهَزْلِ) ؟ أَلَا تَنَامَانِ ، أَيُّهَا الثَّرَثَارَانِ ؟ .
فَصَدَعَ السَّنَجَابَانِ بِمَا أَمَرَا ، وَنَامَا إِلَى الصَّبَاحِ ، وَاشْتَدَّ شَوْقُهُمَا إِلَى تَحْقِيقِ
هَذِهِ الْأُمْنِيَّةِ ، فَظَلَّا يَحْلُمَانِ - طَوْلَ لَيْلِهِمَا - أَحْلَامًا سَارَةً مَبْهَجَةً سَعِيدَةً .

٥. عَلَى صِيَاحِ الْغُرَبَانِ

ثُمَّ اسْتَيْقَظَا عَلَى صِيَاحِ الْغُرَبَانِ الَّتِي تَقْطُنُ أَعَالِي الْأَشْجَارِ فِي الْغَابَةِ
بِجَوَارِهِمَا . قَفَزَا مَسْرُورَيْنِ ، وَقَدِ اسْتَعَادَا نَشَاطَهُمَا ؛ وَظَلَّا يُنْظَفَانِ فِرَاءَهُمَا
وَوُجْهَيْهِمَا وَمَخَالِبَهُمَا . ثُمَّ تَحَفَّزَا (تَهَيَّأَا وَنَهَضَا) لِلْخُرُوجِ .
فَصَاحَتْ بِهِمَا أُمُّهُمَا تُنَادِيهِمَا : أَنْ اصْبِرَا قَلِيلًا ، حَتَّى تُفْطِرَا مَعِيَ .
فَقَالَا لَهَا «كَلَّا . لَا حَاجَةَ بِنَا الْآنَ إِلَى جَوْزِ الزَّانِ ، فَقَدْ مَلَلْنَاهُ (ضَجِرْنَا بِهِ
وَسَيَّمْنَاهُ) ، يَا أُمَّاهُ . وَاعْتَزَمْنَا أَنْ نَطْعَمَ (نَأْكُلَ) شَيْئًا خَيْرًا مِنْهُ وَأَشْهَى» .

٦. فِي مُنْتَصَفِ النَّهَارِ

ثُمَّ خَرَجَ «الْقَرَقْدَانُ» وَ«الْقَرَقْدُونُ» وَظَلَّا يَجُوسَانِ خِلَالَ الْغَابَةِ ،
حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ . وَقَدْ أَعْجَبَ «الْقَرَقْدُونُ» بِتِلْكَ النُّزْهَةِ الْبَدِيعَةِ





إِعْجَابًا شَدِيدًا ، وَشَكَرَ لِأَخِيهِ اقْتِرَاحَهُ الطَّرِيفِ .
وَكَانَ «الْقَرْقَدَانُ» شُجَاعَ الْقَلْبِ - كَمَا قُلْنَا - لَا يَخْشَى شَيْئًا . وَقَدْ كَادَتْ
شُجَاعَتُهُ تَهْلِكُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَهُ وَأَنْقَذَهُ (نَجَّاهُ وَخَلَّصَهُ) ،
بَعْدَ أَنْ تَعَرَّضَ لِلْهَلَاكِ الْمُحَقَّقِ .

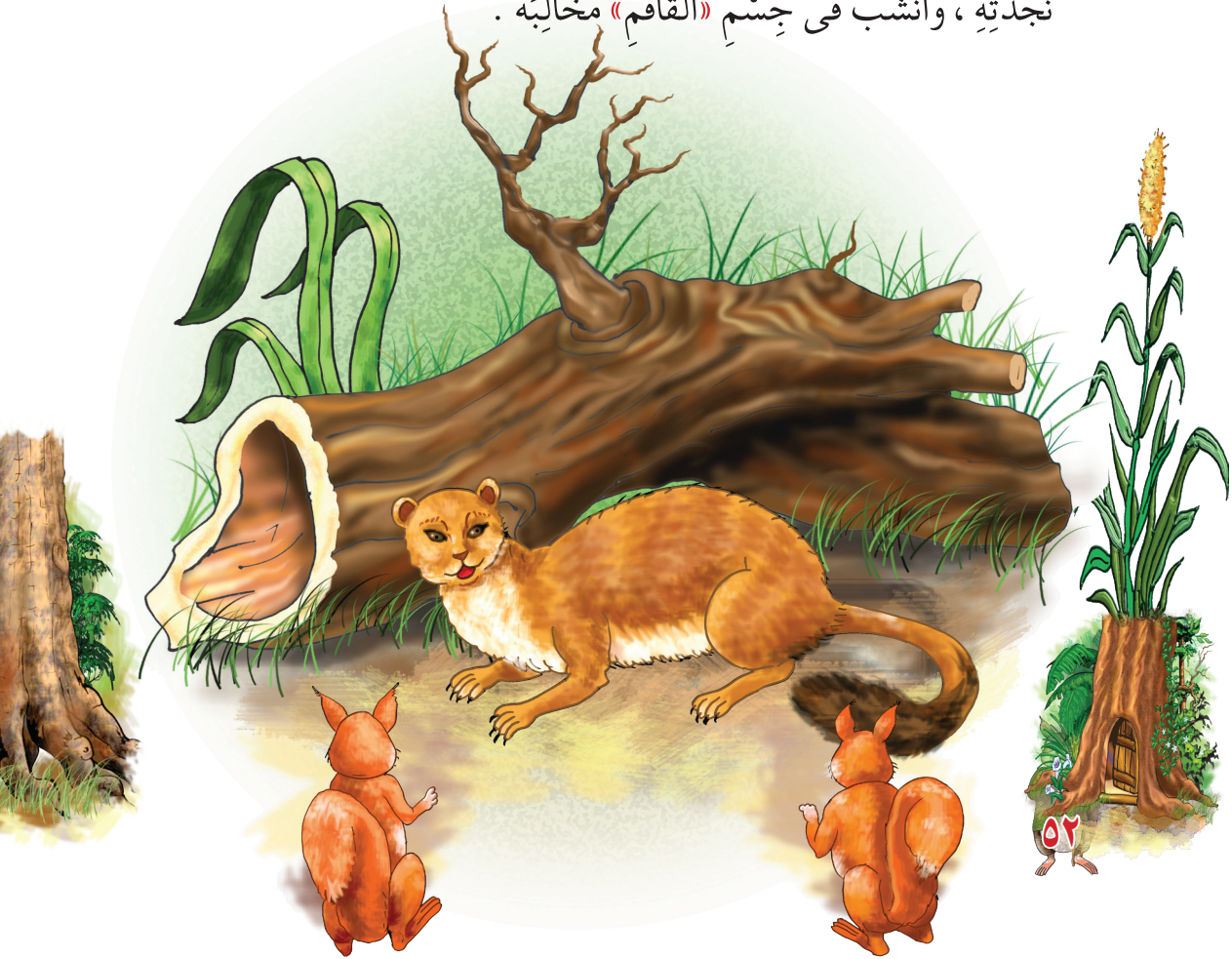
٧ . فِي جُحْرِ «الْقَاقِمِ»

ثُمَّ صَمَتَتْ (سَكَتَتْ) «أُمُّ رَاشِدٍ» قَلِيلًا ، وَاسْتَأْنَفَتْ حَدِيثَهَا قَائِلَةً :
«لَقَدْ رَأَى «الْقَرْقَدَانُ» حَيَوَانًا شَرِيرًا ، اسْمُهُ «الْقَاقِمُ» ، وَهُوَ يَدْخُلُ
جُحْرَهُ . وَلَمْ يَكُنِ «الْقَرْقَدَانُ» يَعْلَمُ أَنَّ «الْقَاقِمَ» عَدُوٌّ خَطِرٌ مَرْهُوبُ الْبَأْسِ
(مَخُوفُ الشَّدَّةِ ، مَخْشِيُّ الْعَنْفِ) ، فَاسْتَخَفَّ (اسْتَهَانَ) بِهِ «الْقَرْقَدَانُ»
وَنَهَاةُ أَخُوهُ «الْقَرْقَدُونُ» عَنِ الْمَكَابَرَةِ ، وَحَذَرُهُ عَاقِبَةَ التَّغْرِيرِ وَالْمُجَازَفَةِ
(خَوْفُهُ نَتِيجَةُ الْمُخَاطَرَةِ) ، فَلَمْ يَسْتَمِعْ إِلَى نَصِيحِهِ .



٨ - السَّنَجَابَانِ وَ «الْقَاقِمُ»

وَذَهَبَ «الْقَرْقَذَانُ» إِلَى جُحْرِ «الْقَاقِمِ» وَضَرَبَهُ بِذَيْلِهِ ؛ فَخَرَجَ «الْقَاقِمُ»
مِنْ جُحْرِهِ ، وَأَنْشَبَ أُنْيَابَهُ (أَدْخَلَ أَسْنَانَهُ الْحَادَّةَ) فِي جِسْمِ «الْقَرْقَذَانِ» ،
فَلَمَّا رَأَى «الْقَرْقَذَانُ» أَنَّ خَصْمَهُ قَوَى الْبَأْسِ ؛ أَيقَنَ بِالْهَلَاكِ . وَلَكِنَّهُ
قَوَى مِنْ عَزَمِهِ ، وَضَاعَفَ مِنْ بَأْسِهِ (قَوَّيْتَهُ) وَأَنْشَبَ أُنْيَابَهُ فِي رَقَبَةِ عَدُوِّهِ .
فَاشْتَدَّ غَيْظُ «الْقَاقِمِ» مِنْهُ ، وَحَمَى الْعِرَاكُ (اشْتَدَّ النَّزَاعُ) بَيْنَهُمَا وَرَأَى
«الْقَرْقَذُونُ» أَنَّ أَخَاهُ سَيَفَارِقُ الْحَيَاةَ ، بَعْدَ لَحَظَاتٍ يَسِيرَةٍ ، فَأَسْرَعَ إِلَى
نَجْدَتِهِ ، وَأَنْشَبَ فِي جِسْمِ «الْقَاقِمِ» مَخَالِبَهُ .





خاتمة القصة

نباح «ابن وازع»

وتحفّزَ «القاقمُ» (استَوْفَزَ وَتَهَيَّأَ لِلْوُثُوبِ) واستعدَّ للفتكِ بالسَّنَجَابَيْنِ ،
وكادَ يَتِمُّ له ما أَرَادَ ، لو لم تتداركهُمَا عنايةُ الله ولُطْفُهُ . فقد سَمِعَ (القاقمُ)
نُبَاحَ كلبٍ ، فازتاعَ (خافَ) ، وأسلمَ سُوْقَهُ لِلْفِرَارِ (أطلقَ أَرْجُلَهُ لِلْهَرَبِ) .
ونجا السَّنَجَابَانِ مِنَ الْخَطَرِ الدَّاهِمِ (الْوَاقِعِ) ، وأسرعَا - من فَوْرِهِمَا -
عائِدَيْنِ إِلَى الشَّجَرَةِ . وَلَمْ يَنْسَيَا ذَلِكَ الْيَوْمَ ، طَوْلَ حَيَاتِهِمَا . وقد نَدِمَا
على مُخَالَفَةِ أُمِّهِمَا ، واعتَزَمَا أَلَّا يَعْصِيَا لَهَا أَمْرًا ، بعدَ ذَلِكَ .
وَلَمَّا انْتَهَتْ «أُمُّ رَاشِدٍ» مِنْ قِصَّةِ السَّنَجَابَيْنِ ، دَهَشَ السَّنَجَابُ ،
وَأَعْجَبُوا بِحُسْنِ حَدِيثِهَا إعْجَابًا شَدِيدًا .
ثُمَّ قَالَ «قَنْزَعَةُ» :

«الْبَثَى (أَفْعُدِي) مَعَنَا - يَا أُمُّ رَاشِدٍ - حَتَّى يَسِيلَ الْجَلِيدُ الْجَامِدُ ؛
فَتَذْهَبِي مَعَنَا لِرِيَازَةِ أَشْجَارِ الشُّوْحِ وَلِتَكُونِي عَلَى ثِقَةٍ أَنَّنَا مُؤْتِنِسُونَ بِكَ ،
فَاتَّخِذِي مِنْ عُسْنَانِيَّتِكَ ، وَلَا تَضْجَرِي بِالْإِقَامَةِ بَيْنَ ظَهْرَانِيئِنَا يَا «أَخْتِ
يَرْبُوعَ» .

فَقَالَ «لَامِعُ» :





«نَعَمْ ، يَا ابْنَةَ عَمِّ . وَنَحْنُ بِكَ جِدُّ مَسْرُورِينَ ، فَالْبَيْتِ (امْكُثِي) مَعَنَا
مَشْكُورَةً ، وَلَا تُفَارِقِينَا ؛ فَلَيْسَ أَحَبُّ مِنْ أَحَادِيثِكَ وَأَسْمَارِكَ الشَّائِقَةِ
الْمُعْجِبَةِ» .

فَقَالَتْ «أُمُّ رَاشِدٍ» :

«شُكْرًا لَكُمْ جَمِيعًا ، عَلَى حَفَاوَتِكُمْ بِي (تَلَطَّفِكُمْ بِي وَمُبَالَغَتِكُمْ
فِي إِكْرَامِي) - يَا أَبْنَاءَ عَمِّ - فَقَدْ أَوْلَيْتُمُونِي (أَعْطَيْتُمُونِي) مَنَّةً (فَضْلًا
وَمَكْرَمَةً) عَظِيمَةً ، وَغَمَرْتُمْ نَفْسِي أَنْسًا وَحُبُورًا ، وَأَفْعَمْتُمْ (مَلَأْتُمْ قَلْبِي)
فَرَحًا وَسُرُورًا ، وَلَنْ أَنْسَى لَكُمْ هَذَا الْجَمِيلَ مَا حَيَّتُ !»





السَّنَجَاب



- ١ - قال «أبو الفرج البَّبْغَاءُ» :
- ٢ - «قد بَلَوْنَا الذِّكَاءَ فِي كُلِّ بَابٍ فَوَجَدْنَاهُ صَنْعَةَ السَّنَجَابِ
- ٣ - حَرَكَاتٌ تَأْتِي الشُّكُونَ ، وَأَلْحَا ظُ حِدَادٌ ، كَالنَّارِ فِي الْإِلْتِهَابِ
- ٤ - لَابَسًا جِلْدَةً ، إِذَا لَاحَ ، خِلْنَا هُ - بِهَا - فِي مُزَرَّةٍ مِنْ سِنَابِ
- ٥ - لَوْ غَدَا كُلُّ ذِي ذِكَاءٍ نَطُوقًا رَدَّ - فِي سَاعَةِ الْخِطَابِ - جَوَابِي .

الشرح

- ١ - «أبو الفرج عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَخْزُومِيُّ» شَاعِرٌ مُجِيدٌ ، وَقَدْ أَطْلَقُوا عَلَيْهِ لِقَبَ «البَّبْغَاءِ» لِلتَّغَةِ فِي لِسَانِهِ .
- ٢ - بَلَوْنَا : اخْتَبَرْنَا وَتَعَرَّفْنَا - فِي كُلِّ بَابٍ : فِي كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْأَنْوَاعِ .
صَنْعَةُ السَّنَجَابِ : يُرِيدُ صِفَتَهُ وَمَزِيَّتَهُ .





والسَّنَجَابُ (بضم السين ، وبكسرهما) : حَيَوَانٌ قَارِضٌ متسلق ، كالْجُرَذِ والفأر . وهو مُضْرِبُ المثل فى رشاقته وسرعته العجيبة التى امتاز بها فى تسلق الغصون . يتخذ من الشَّجَرِ دارًا يبتئها ، ويأوى إليها . وجسمه قريب الشبه من جسوم الأرانب ، لا يختلف عنها إلا فى قصر أذنيه وطول آذانها ، وامتداد ذيله فى الطول ، وتقاصر أذيالها . وهو يتوسد ذيله الكثيف الشعر ، إذا نام فى فصل الشتاء . ويطعم الفواكه وما إليها من ثمرات الأشجار المختلفة الأخرى . ولكن أحبَّ المأكَل إليه : ثَمَارُ أشجار البلوط ، كما رأيت من سياق هذه القصة .

ومَعْنَى الْبَيْتِ : أَنَّنَا قَدْ امْتَحَنَّا السَّنَجَابَ فى كُلِّ بابٍ مِنْ أَبْوَابِ الذِّكَاةِ ، فَرَأَيْنَا الذِّكَاةَ أَوَّلَ مَزَايَاهُ ، وَأَخَصَّ خَصَائِصِهِ .

٣ - تَأْبَى السُّكُونُ : لَا تَرْضَى بِأَنْ تَهْدَأَ وَتَسْتَقِرَّ ، مِنْ فَيْضِ النِّشَاطِ وَحُبِّ الحَرَكَةِ . الْحَاطِظُ حَدَادٌ : عُيُونٌ قَوِيَّةُ النَّظَرِ ، حَادَّةُ الْبَصَرِ ، شَدِيدَةُ التَّحْدِيقِ .

ومَعْنَى الْبَيْتِ : أَنَّ السَّنَجَابَ - لِفَرَطِ نَشَاطِهِ - لَا يَرْضَى أَنْ يَكُفَّ عَنِ الحَرَكَةِ قَطُّ ، وَأَنَّ عَيْنِيهِ الحَادَّتِي الْبَصَرِ تَبْدُوَانِ (تَظْهَرَانِ) - لِمَنْ يَرَاهُ - كَأَنَّهُمَا جَمْرَتَانِ مُلْتَهَبَتَانِ .

٤ - الْجِلْدَةُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْجِلْدِ - إِذَا لَاحَ : إِذَا ظَهَرَ .

خِلْنَاهُ : ظَنْنَاهُ وَحَسِبْنَاهُ - مُزْرَّةً : يُرِيدُ ثَوْبًا ذَا أَزْرَارٍ .

سِخَابٌ : قِلَادَةٌ (عقد) ، حَبَّاتُهُ لَيْسَتْ مِنَ اللُّؤْلُؤِ وَلَا مِنَ الْجَوَاهِرِ ، بَلْ هِيَ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ أَنْوَاعٍ مِنَ النَّبَاتِ كَالْقَرْنَفْلِ .





وَمَعْنَى الْبَيْت : أَنَّ الْجِلْدَةَ الَّتِي يَلْبَسُهَا السَّنَجَابُ تَلُوْحُ لِعَيْنٍ مَنْ يَرَاهَا ،
فِيحْسِبُهَا ثَوْبًا ذَا أَزْرَارٍ ، تَشْبَهُ حَبَّاتِ الْعِقْدِ الْمُؤَلَّفِ مِنْ أَلْوَانِ النَّبَاتِ
كَالْقَرْنُفْلِ .

٥ - لَوْ غَدَا : لَوْ أَصْبَحَ .

نَطَوَقًا : فَصِيحَ اللِّسَانِ ، سَرِيعَ النُّطْقِ .
سَاعَةَ الْخِطَابِ : حِينَ أُخَاطَبُهُ .

وَمَعْنَى الْبَيْت : لَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ وَهَبَ اللَّهُ لَهُ نِعْمَةَ الذِّكَا ، وَهَبَ لَهُ مَعَهَا
نِعْمَةَ الْكَلَامِ - أَيْضًا - لَكَانَ السَّنَجَابُ مِنْ أَفْصَحِ الْفُصَحَاءِ ، وَلَمَّا أَعْجَزَهُ
التَّعْبِيرُ عَنْ غَرَضِهِ ، وَالْإِجَابَةُ - فِي الْحَالِ - عَمَّا أَوَّجَّهُ إِلَيْهِ مِنْ سُؤَالٍ .





مكتبة «الكيلانى» للأطفال

١ - مصنع فكرى عجيب^(١)

الأستاذ «كامل كيلانى» شخصية حبيبة إلى القلوب ، قريبة من النفوس .
والسيد «كيلانى» ابن بار من أبناء مصر البررة بالعلم والأدب والتأليف ،
فهو حركة دائبة وروح قوية نشيطة عاملة . أو قل : إنه يملك - فى شخصه ،
المتقارب الحدود فى هيولاه ، البعيد الأطراف فى معناه - مصنعاً فكرياً
عجيباً يصدر دائماً البضائع الرُّوحية والمصنوعات الفكرية التى تكسو
الأرواح والأخلاق ، إذا كانت المصانع المادية تكسو الأجسام والأبدان!

٢ - أسلوب «الكيلانى»^(٢)

... هذا هو سر الكاتب البليغ ، لا يقول إلا إذا أدرك أن عنده شيئاً يقوله ،
ومتى قاله اختار الألفاظ والعبارات التى تجلوه . فلا هى فضفاضة متهدلة
تحاول - بطريقة من طرق الجمباز اللغوى أو البديعى - أن تستهوى لب
القارئ وتقنعه بأن تحتها معنى ، وإن كان مكروسكوبياً ، ولا هى قصيرة يبدو

(١) من كلمة لصحيفة الجامعة الإسلامية .

(٢) من كلمة لمجلة المقتطف .





منها المعنى قزماً ممسوخاً ، لأن الثوب الذى يرتديه ممسوخ . فالأسلوب هو الكاتب ، وهذا هو سر الأسلوب : «تقول على علم، وتعلم ما تعنى» ! وهذا هو سر أدب «الكيلانى» . فقد اختار - لعلمه وأدبه - ميداناً متسع الأطراف ، هو ميدان الأدب العربى والتاريخ العربى . ففضى شطراً من حياته - يقارب العقدين - يطالع ما كتب فيه مطالعة إدراك وتمييز ، ويحفظ أقوال الكتّاب والشعراء ، حتى لقد خزن فى ذاكرته العجيبه ألوفاً من أبيات الشعر الجيد ، يستحضرها ساعة يشاء ..

٣ - إلى الأديب الكامل (١)

... شوقى إليك عظيم ، وأعظم منه أسفى لحرمانى - هذا الأمد الطويل - مجالسك الممتعة ، وحديثك العذب . ومهما تمادت السنون على افتراقنا لا أنسى تلك الفترات القصيرة التى أنست فيها بالاجتماع معك فى القاهرة . بل إن تمادى الفراق يزيد فى حرارة هذه الذكرى الراسخة فى نفسى . ويزيدها رسوخاً مطالعتى لتعليقاتك الرائعة على «رسالة الغفران» وإعجابى بما فيها من بلاغة التعبير ، وسلامة التفكير . ولا يزيد على إعجابى هذا سوى إعجابك «بأبى العلاء» ، ووقوفك عند عباراته مدهوشاً بِسُمُوها وروعته وإبداعها ؛ بحيث لم تترك لى أو لغيرى

(١) من كلمة للأستاذ «فارس الخورى» أرسلها من «جنيف» ، ونشرت بصحيفة «منبر الشرق» .





من قرائك فرصة لتكوين رأى فيما نقرأ ، بل تسبقنا لإصدار حكم قاطع
لا يقبل استثناءً ولا نقصاً ، وتحتم علينا أن نتابعك فيما حكمت، ونذعن
لما رسمت ، فترفع بذلك عنا ثقل التفكير ، ومشقة التحليل والتدليل ،
فنسلك وراءك طريقاً معبداً ، أو مَلْحُوباً ممهداً .

فما رأيك فى هذا ؟

لم يكن لدى من الكتب العربية غير هذين المجلدين فى تعليقاتك
على «رسالة الغفران» ، فى فترة امتدت أشهرًا ، فوجدت فيها مرجعًا نفيسًا
للاستفادة والإمتاع .

جزاك الله خيرًا ، ومتعك بما تستحق من مراتب العلم ..

